سلسلة كتـــــب الإسلام وطـن
الكتاب السابع والثلاثـون بعد المائة

مَقَالَاتٌ وَفَتَاوَى الشَّيْخِ الدِّجْوِي

الجُزْءُ الأَوَّلُ

طُبِعَ بِإِذْنٍ مِنْ
السَّيِّد علاء أبو العزائم
شيخ الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤٣٢هـ- أكتوبر ٢٠١١م

عنوان الكتاب	مقالات وفتاوى الشيخ الدجوى
المـــؤلـــف	الشيخ يوسف نصر الدجوى
النـــاشــــــر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفــون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠

تقديم

بقلم فضيلة الدكتور: الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق

الحَمْدُ للهِ رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد بعث الله رسوله ﷺ رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين، وأنزل عليه كتابه المبين شفاء لما فى الصدور، وهدى وبشرى للمؤمنين، فاستجاب لدعوته أصحاب العقول النيرة والفطرة السليمة، وجاهدوا تحت لوائه مخلصين حتى نصر الله عبده، وأعز جنده، وأظهر دينه على الدين كله.

وقد واجهت الدعوة الإسلامية على مدى العصور والأزمان حروبًا فكرية متلاحقة أراد بها خصوم الإسلام أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

ومن رحمة الله بعباده أن قيض للإسلام فى كل زمان رجالاً دافعوا عن دينه بكل ما يملكون من قوة شرعوا فى أقلامهم وألسنتهم فى الدفاع عن الإسلام: نشروا حضارته،

وأظهروا أصالته، وكشفوا عن نوره المبين، وبسطوا أحكامه ومسائله فى وضوح ويقين.

ومن هؤلاء عالمنا الجليل الشيخ يوسف نصر الدجوى، أحد أكابر علماء القرن الرابع عشر الهجرى، وقد نشأ فى بلدة (دجوة) من أعمال القليوبية، وحفظ القرآن مبكرًا، ثم التحق بالجامع الأزهر وارتشف رحيق العلم من شفاه أعلامه الممتازين، حتى صار متبحرًا فى مختلف العلوم الدينية والعربية وساعده على ما أكرمه الله به من بصيرة نيرة وعقل وقاد، وحصل على الشهادة العالمية، وأظهر جدارة ممتازة فى شتى علومه المقررة.

ثم تولى التدريس بالأزهر، وكان لعلمه الغزير وفهمه الناضج وأسلوبه البليغ أثر عظيم فى اجتذاب الطلاب إلى درسه والالتفاف حوله، حتى ارتفع ذكره وانتشر مجده خارج محيط الأزهر، حيث كتب فى الصحف اليومية والمجلات الدينية بأسلوب عصرى رفيع وفهم لما استحدث من العلوم والمعارف وتطبيق الآيات الكونية على ما صح منها.

واستمر مجد هذا العالم المجاهد فى صعود حتى اختير عضوًا بارزًا فى هيئة كبار العلماء فى الأزهر الشريف وأصبحت له شهرة واسعة فى العالم الإسلامى جعلت داره بعزبة النخل كعبة للوافدين من العلماء طلاب المعرفة.

ولقد كان شيخنا الدجوى – عليه رحمة الله – واسع الفكر فى الفقه الإسلامى، فكانت له فيه فتاوى عظيمة يحتاج إليها المسلمون فى كل زمان، وبخاصة فى عصرنا الحاضر، حيث تناول فيه معاملات البنوك، وحكمة تعدد الزوجات، والأولياء، والحسد والرقية منه، وهل للحسد تاثير على المحسود؟، وبعض مشكلات الرضاعة والأيمان التى لا يعتبرها الشرع، والقراءة للأموات، إلى غير ذلك من الفتاوى الفياضة النافعة والمقالات الممتعة فى شتى المجالات.

وكان لمقالاته وفتاويه ورسائله دوى عظيم فى الأوساط الإسلامية والعلمية وتتلقاها الأمة بالقبول الحسن.

ولقد رأى مجمع البحوث الإسلامية، فى هذه الآونة من تاريخ مصرنا العزيزة، وفى مواجهة التيارات الفكرية المختلفة، أن يقدم هذا الكنز الثمين للأمة المحمدية لكى تنتفع بنفائسه، فقرر أن يطبع هذه الفتاوى والمقالات التى نشرت متناثرة فى الصحف والمجلات، إسهامًا منه فى توضيح الكثير من المفاهيم الإسلامية.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل عباده المؤمنين وأن يثيب هذا العالم على هذا العطاء الجزيل.

إنه نعم المولى وولى التوفيق.

الفصل الأول
التوسل والاستغاثة

التوسل (١)

كتبنا كلمة وجيزة فى التوسل بالنبى ﷺ وحذرنا الغلاة ومن حذا حذوهم من تكفير المسلمين، وقلنا لهم: إن التكفير أمر عظيم، لا ينبغى لمن يشفق على دينه أن يسارع إليه.

وذكرنا من الأدلة على جوازه ما يخضع له المنصف، ولا يمارى فيه إلا الجاهل المتعسف.

فجاءتنا رسائل من الجهلة كلها سب وإقذاع وليس فيها غير ذلك، ولا غرو فسلاح السفهاء بذاءة اللسان لا قوة البرهان.

وإنى أبادر فأقول: إن كل ما يجد القارئ فى مقالى هذا من كلمة لاذعة فإنا لا نقصد بها إلا سفهاءهم وأراذلهم، وحاشا أن نقصد منهم عاقلاً أو كاملاً، فإن سبق القلم بغير ذلك فهو على غير قصد منا، وإنما جرنا إليه جهل الجاهلين وجمود الجامدين:

وجرم جره سفهاءُ قوم ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ فحل بغير جانيه البلاءُ

وقد خيل لأولئك السفهاء أنهم سينسفون الحق وأهله

بسفاهتهم التي لا تزيدهم عندنا إلا صغارًا واحتقارًا، ولسنا نقيم لهم وزنا وإن تفننوا فيها، وكم فى كلامنا من إشارات لم يفهموها ورموز لم يدروا المراد منها وإن ظنوا أنهم مبرزون فيما يكتبون:

إن العصافير لما قام قائمها

توهمت أنها صارت شواهينا

وللحق والإنصاف نقول: إنه جاءنا رسالة من بعض المكيين تحت إمضاء (أ.د) سلك فيها الكاتب مسالك الأدب ولم يقذع إقذاع أولئك الزعانف، وربما نشرناها وعلقنا عليها تحقيقًا للحق، وإبطالاً للباطل.

أما اليوم فنقول: ليعلم القارئ الكريم أن إسناد الفعل تارة يكون لكاسبه كفعل فلان كذا، وتارة يكون لخالقه كفعل الله كذا. والكل حقيقة فى اللسان العربى، وقد جاء ذلك فى القرآن الشريف: ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣)، ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ (الكهف: ١٧)، ومع هذا فقد قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، وهو كثير معروف.

فإن منع أولئك الجهال الإسناد على وجه الاكتساب فهم مجانين، وإن ادعوا أن الواقع فى كلام الناس هو الإسناد للخالق لا للكاسب فهى دعوى كاذبة لم يقم عليها برهان،

وقد استباحوا بها دماء المسلمين جهلاً وضلالاً، ومن منع الإسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته وانقطع الكــلام معه.

فمثلاً: الغوث من الله خلق وإيجاد، ومن النبى تــسبب وكسب.

هذا على فرض أننا طلبنا الغوث منه ﷺ مع أننا لم نفعل ذلك، ولو فعلنــاه لــصح علــى طريــق التــسبب والاكتساب بطلب الدعاء منه عليه السلام، وقد قالت أم إسماعيل عندما سمعت الصوت: (أغث إن كان عنــدك غــوث)، فأسندته إليه على سبيل الكسب.

فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين واستباحة دمــائهم وأموالهم بالتوسل والاستغاثة، حتى على اصطلاحهم الذى لا نوافقهم عليه، والنزاع فى معان لا فى ألفاظ؟.

وقد جاء فى الحديث الصحيح: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَــيْكُمُ الــسَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (النــساء: ٩٤). فإن كان هذا فى رجل لم يكن منه إلا مجرد السلام الــذى هو تحية المسلمين، فكيف بمن يتجاسر على خيار الأمــة المحمدية ويكفرهم بالتوسل بالأنبياء والــصالحين بــشُبَه أَوْهَى من بيت العنكبوت ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُــونَ

* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَــوْمَ يَقُــومُ النَّـــاسُ لِــرَبِّ الْعَـــالَمِينَ﴾ (المطففين: ٤ – ٦)، ومن المقرر أن اليقــين لا يــزول بالشك، وأنه يئوَّل للمسلم من وجه إلى سبعين وجهًا كمـــا نص عليه النووى وغيره من العلماء.

ولست أدرى هل يأخذ هؤلاء بظـــواهر العبـــارات أم بالمقصود منها؟.

فإن كان التعويل عندهم على الظواهر كان قول القائل: (أنبت الربيع البقل) و(أروانى الماء) و(أشـــبعنى الخبـــز) شركًا وكفرًا، وإن كانت العبرة بالمقاصد والتعويل علـــى ما فى القلوب التى تعتقد أنه لا خالق إلا الله وأن الإســـناد لغيره إنما هو لكونه كاسبًا له أو سببًا فيه لا لكونه خالقًـــا له لم يكن شيء من ذلك كله كفرًا ولا شركًا.

ولكن القوم متخبطون خصوصًا فى التفرقة بين الحـــى والميت على نحو ما يقولون (كأن الحى يصح أن يكـــون شريكًا لله دون الميت) أو كـــأن الأرواح تـــستمد قوتهـــا وسلطانها من الأشباح لا العكس، ولكنهم ليسوا أهل منطق ولا برهان، ثم انضم إلى ذلك الصلف المذموم والكبريـــاء الممقوتة، فبماذا نخاطبهم؟، وعلى أى قاعدة نحاورهم؟.

ولكننا نكتب لغيرهم عسى أن نقيه شر سمومهم التـــى ينفثونها فيما يكتبون تبعًا لأسلافهم، مطبقين الآيات التـــى نزلت فى الكفار على المسلمين، مع أن الشاذ عن جماعة

المسلمين أولى بالتكفير منهم وأقرب إلى الخطإ والضلال، وهل يرضون أن نقول لهم: إنكم مخالفون لسلف الأمة وخلفها اتباعًا لمن قبلكم، ثم نطبق عليكم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا﴾ (البقرة: ١٧٠)، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ (القصص: ٥٠)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ (الحج: ٨، ٩).

وعندنا من ذلك شيء كثير، وهل لنا أن نأخذ بظاهر هذا الحديث وهو أصح مما تأخذون فنقول: إنكم كفرتم عندما رميتم المسلمين بالكفر؟، أو نقول: إنكم من أولئك الذين يحقر أحدنا صلاته بجنب صلاتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؟، أو نقول: إنكم من أولئك (الخوارج) الذين قال فيهم عبد الله بن عمر – كما فى صحيح البخارى –: (إنهم عمدوا إلى آيات نزلت فى المشركين فجعلوها فى المسلمين)؟، أو نقول كما قال ابن عمر أيضًا: (ولا نريد إلا أولئك الفظاظ الغلاظ الجامدين الجاهلين).

إنكم أعداء الله حيث أثبتم له الجهة وشبهتموه بخلقه، وأعداء رسول الله حيث لم توقروه ولم تراعوا حرمته، وأعداء أولياء الله حيث حقرتموهم كل التحقير، وأعداء

جميع المسلمين حيث استحللتم دماءهم وأموالهم حتى قتل أطفالهم من بنات وبنين، وذلك شيء لم نفعله مع أكفر الكفرة وأفجر الفجرة، إلى آخر فظائعكم وشنائعكم.

فيا أيها الناس، اتقوا الله فى المسلمين فنحن أحوج إلى الوئام والاتحاد أمام العدو الذى أجمعنا جميعًا على كفره وعداوته، بل اتقوا الله فى أنفسكم واعلموا أن النفس أمارة بالسوء، وأن من اتبع هواه ضل عن سبيل الله، ولو سلكنا مسلككم واتبعنا خطتكم وقابلنا السيئة بالسيئة لقلنا لمن يريد نصحكم ونحن يائسون منكم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: ٤٣، ٤٤).

وعلى نهجكم كان يمكننا أن نسير ولكن ديننا أعز علينا من أعراضنا التى نهشتموها، ودمائنا التى استبحتموها، ولعمر الله لقد صيرتم الإسلام بذلك نارًا مضطرمة على وجه الأرض، لا دين يسر وسلام كما جعله الله، بل صار دين جهالة وجمود مع أن نبيه يقول: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيَّاتكم). وإنا لنعلم أن الفرق الضالة كلها تستدل بالقرآن على نحلها ونزعاتها، فلا يغرنكم ما تستدلون به من الآيات فى غير محل الاستدلال، مطبقين إياها على

المسلمين خطأً وجهلاً، كما فعل أسلافكم، فـإن ذلـك لا يغنى عنكم من الله شيئًا، والناجى من نجاه الله: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَـهُ وَلِيًّـا مُّرْشِـدًا﴾ (الكهف: ١٧).

ولا أدرى لماذا قامت قيامتكم، وقد قلنا: إننا نعتقد فـى توسلنا أن الله هو الفاعل، ولسنا نطلب من غيره فعلاً، ولا عملاً، ولكن نسألة بمنزلة النبى عنده، وتلك المنزلة ثابتـة له فى الدنيا والآخرة، وبها نـذهب إليـه للـشفاعة يـوم القيامة، وذكرنا وجوهًا أخرى هى فى غاية الوضـوح لا داعى لإعادتها؟! وستفيض بعد فيما يقنع المُناظر ويفحـم المكابر.

فما ذلك الشرك الذى شغفتم بذكره؟ وما ذلك التكفيـر الذى جننتم برمى المسلمين به؟ وسنذكر من أدلة التوسـل ما يلقمكم الحجر، ونبين لكم أن آية: ﴿وَإِنِ اسْتَنـصَرُوكُمْ في الدِّينِ﴾ (الأنفال: ٧٢) ما ذكرناها إلا لما قاله بعـض أَئمتكم، وستسمعونه بعد، ولأننا لا نستبعد منكم شيئًا ممـا يعقل وما لا يعقل، ولأن التفرقة بين الأحياء والأموات فى هذا المقام غير صحيحة، فإن الطلب من الله والفعل لله لا من المستغاث به على أنه يستطيع أن ينفعنا بدعائه علـى ما نوضحه أتم توضيح.

ولنقتصر على هذا ونورد لكـم شـيئًا عـن الأرواح

وعملها بعد الموت مما قاله ابن القيم، وشيئًا عن التوسل مما قاله الشوكانى، وهما من أئمة الغلاة الذين يرددون كلامهم فى كل موطن، بل كل ما تراه لهم من علم أو ما يشبه العلم فإنما هو لابن تيمية وابن القيم والشوكانى، يحكونه واحدًا بعد واحد كالببغاء أو كالحاكى للصوت (الفونغراف) وليتهم كان لديهم من الأمانة (ما للفونغراف) أو ليتهم عرفوا كل ما قال أئمتهم، فسلكوا طريقتهم ولم يقولوا بغير قولهم.

عمل الأرواح بعد الموت:

قال ابن القيم فى كتاب (الروح): إن للروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه فى التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق به ﷻ ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن وعوائقه بسبب انغماسها فى شهواتها، فإن كان هذا فى عالم الحياة الأرضية وهى محبوسة فى بدنها، فكيف إذا تجردت عنه وفارقته، واجتمعت فيها قواها، وكانت فى أصل نشأتها روحًا عالية زكية كبيرة ذات همة عالية؟ فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر.

وقد تواردت الرؤى فى أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن فى هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، والفيالق بالعدد

القليل جدًّا ونحو ذلك، وقد رئى النبى ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فى النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفـــر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثــرة عــددهم وضعف المؤمنين وقلتهم.

هذا ما قاله ابن القيم، فانظر فيه مع ما يقول هــؤلاء، ولا تنس أنه ليس لهم علم ولا شبه علم إلا كلام ابن القيم وأصحابه، ولكن يظهر أنهم قاصرو الاطلاع كمــا أنهــم قاصرو العقل.

التوسل فى رأى الشوكانى:

وقال الشوكانى وهو ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة عندهم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى بعض فتاواه مــا لفظــه: والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ﷺ مــا هــو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم، ومن نازع فــى هــذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطئ ضال.

أقول: فليكن النزاع فيما هو اللائق به وما يقدر عليــه وفيما لا يليق به ولا يقدر عليه، ولا شك أنه قادر على أن يدعو لنا وهو فى البرزخ كما قال فى الحديث الذى ستعلم صحته: (تعرض علىَّ أعمالكم فإن وجدت خيرًا حمــدت الله وإن وجدت شرًّا استغفرت لكم).

ولنرجع إلى تتميم كلام الشوكانى.

قال الشوكانى: وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بــين

المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة مـــن المخلـــوقين فيمـــا يقدرون عليه من أمور الدنيا.

هذا ما قاله، وإنى أكرر لفت نظرك إلى أنه يجـــب أن يكون البحث إذًا فى تحقيق ما يقدر عليـــه ومـــا لا يقـــدر عليه، وقد علمت أنه قادر على أن ينفعنا وهو فى البرزخ بدعائه كما كان فى الدنيا، فليكن محل النزاع هـــو كونـــه قادرًا أو غير قادر، على أنه لا وجه للشرك علـــى كـــل حال.

ثم قال الشوكانى: وفى سنن أبى داود أن رجـــلاً قـــال للنبى ﷺ: إنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله. فقال: (شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه) فأقره على قوله: نستشفع بك على الله، وأنكـــر عليه قوله: نستشفع بالله عليك.

إلى أن قال: وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحـــد مـــن خلقه فى مطلب يطلبه العبد من ربه قال الشيخ عز الـــدين ابن عبد السلام: إنه لا يجوز التوسل إلـــى الله إلا بـــالنبى ﷺ إن صح الحديث فيه.

ولعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه النسائى فى سننه والترمذى فى صحيحه وابن ماجه وغيرهم: أن أعمى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أصبت فـــى بـــصرى فادع الله لى، فقال له النبى ﷺ: (توضأ وصل ركعتين

ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إنى أستشفع بك فى رد بصرى اللهم شفع النبــى فــىَّ). وقال: (فإن كان لك حاجة فمثل ذلك) فرد الله بصره.

وإنى ألفت نظرك إلى قوله: (فإن كان لك حاجة فمثل ذلك).

ثم قال الشوكانى: وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبى ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبــد السلام لأمرين: الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، والثانى: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو فى التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضــلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائــل: اللهم إنى أتوسل إليك بالعالم الفلانى، فهو باعتبار ما قــام به من العلم، وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أن النبــى ﷺ حكى عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بــأعظم عمــل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كــان التوســل بالأعمــال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتــشددون فى هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعــه لم تحصل الإجابة من الله لهم، ولا سكت النبى ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم.

وإنى أرجوك أن تمعن النظر فى جعله ابن عبد السلام

متشددًا مع قوله بجواز التوسل به ﷺ، غاية الأمر أنه قصر ذلك عليه.

ثم قال الشوكانى: وبهذا تعلم أنه ما يورده المانعون من التوسل إلى الله بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)، ونحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)، ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ (الرعد: ١٤) ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه فإن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ مصرح بأنهم عبدوهم لذلك.

والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده، بل علم أنه له مزية عند الله بحمله العلم، فتوسل به لذلك وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾، فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول: يا الله يا فلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله، وإنما وقع منه التوسل إليه بعمل صالح، عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه.

فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع.

إلى أن قال: والمتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم من العلماء لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله ﷻ فى أمر، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيًّا أو غير نبى فهو فى ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران: ١٢٨)، ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً﴾ (الأعراف: ١٨٨). فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شىء، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يملك لغيره؟ وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء.

وقد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود، مقام الشفاعة العظمى، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه، وقال له: (سل تعط واشفع تشفع).

إلى أن قال: وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤): (يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئًا، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئًا) فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله تعالى ضره، ولا ضر من أراد الله نفعه، وأنه لا يملك

لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئًا من الله تعالى، وهذا معلوم لكل مسلم، وليس فيه ألا يتوسل به إلى الله، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سببًا للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع.

هذا كلام علمائهم الذين يقدمونهم على علماء المذاهب الأربعة، على أن لهم مع هذا شذوذًا لا نوافقهم عليه فى كثير من المواضع، ولكن أتباعهم الذين لم يتذوقوا العلم إلا منهم، ولم يتشدقوا بما يشبه الحق إلا بفضل كتبهم التى لا يستقون الدين والهدى إلا منها، وليس وراءها لديهم علم ولا دين، يجب عليهم ألا يخالفوهم فى ورد ولا صدر، وأن يكون كلامهم حجة عليهم كما كان الحجة لهم.

ويكفى هذا اليوم، وسنذكر من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يدل على أن النبى ﷺ يجوز التوسل به قبل وجوده، وبعد وجوده فى الدنيا، وفى البرزخ، وفى عرصات القيامة، وقد وعدناهم فى كلمتنا الأولى بذكر الأدلة وتمام التفصيل ولكنهم قوم لا يفقهون.

وكثيرًا ما تراهم إذا أرادوا أن يردوا علينا، أو على على غيرنا قرروا مذهبهم – وتحن أعرف به منهم –، متخيلين أن الأدلة يرد عليها بالدعاوى غير المبرهنة، وحيث عجزوا عن الاستدلال فلنتبرع نحن بإقامة الأدلة

على فساد كل دعاويهم – حتى دعوى التفرقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية – وإن كان عجز المدعى عن إثباتها كافيًا فى سقوطها، فلينتظروا.

التوســـــل (٢)

إنه لا بأس أن نتوسل بالنبى ﷺ ونستغيث به فـــى حياته وبعد مماته؛ لأن التوسل إنما هو بمنزلته عنـــد الله، وهى ثابتة له فى الدنيا والآخرة، والمطلوب منه هـــو الله تعالى، على أنا لو طلبنا من النبى أن يتـــشفع لنـــا عنـــده تعالى لصح عقلاً ونقلاً، فإنه يمكنه وهو فى البـــرزخ أن يسأل الله لنا كما كان يسأله فى حياته.

وقد قلنا: إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركـــة، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم أن للروح بعد مفارقة الجسد أعمالاً تعملها فى هذا العالم لم يكن يمكنها أن تعملها حال اتصالها بالبدن، إلى آخر ما نقلنا عنه.

وهو معقول جدًّا، فإن الأرواح لم تستمد قوتهـــا مـــن الأشباح حتى تذهب قواها وخصائصها بمفارقتهـــا، بـــل الأشباح هى التى تستمد حياتها وأفاعيلها من الأرواح، فما هذا الاشتباه الذى أدى إلـــى قلـــب الحقـــائق ومـــصادمة المعقول والمنقول.

على أن تخصيص الجواز بالحى دون الميـــت أقـــرب إلى إيقاع الناس فى الشرك، فإنه يـــوهم أن للحـــى فعـــلاً يستقل به دون الميت، فأين هذا من قولنا: إن الفعـــل فـــى الحقيقة لله لا للحى ولا للميت؟! ومن أمعن النظـــر فـــى كلامهم لم يفهم إلا مذهب المعتزلة فى الأحياء، ومـــذهب

الذين يئسوا من أصحاب القبور فى الأموات.

وعلى كل حال فالغفلة عن الفاعل الحقيقى، وتخيل أن الفاعل غيره أظهر فى الأحياء منه فى الأموات، وقد نقلنا لك كلام الشوكانى – وهو من أئمتهم – أيضًا فى التوسل ورده على العز بن عبد السلام فى تخصيصه جواز ذلك بالنبى ﷺ وقال: إنه لا فرق بينه وبين غيره.

ولنقل كما قال على سبيل التنزل عسى أن ينقطع النزاع بيننا وبينهم: لماذا لا تجعلون التوسل بالولى أو النبى توسلاً بعمله الصالح، فإنك تتوسل بالولى من حيث هو ولى مقرب إلى الله تعالى، وما تقرب إليه إلا بما أحبه من صالح الأعمال، وسؤال الله بالأعمال الصالحة مجمع على جوازه منا ومنكم؟! وستسمعون أكثر من هذا، ولنذكر لكم اليوم عبارة ابن قدامة وهو من كبار الحنابلة الذين أنتم على مذهبهم، وقد قال فيه ابن تيمية: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعى أفضل منه، فلعله يحرك منكم الإنصاف أو يذكركم بمذهبكم إن كان لكم مذهب كما تدعون.

نريد أن نحاكمكم إلى العقل تارة، وإلى ما قاله الشوكانى وابن القيم وأئمة الحنابلة تارة أخرى.

وليت شعرى هل يفيد شىء من هذا؟! [بكل تداوينا فلم يشف ما بنا] وقد قال الله فى حق قوم أُشربوا فى قلوبهم

التعصب والعناد: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ (الأعراف: ١٤٦)، وسر ذلك كما بين الله أنهم كانوا يتكبرون فى الأرض بغير الحق، وأى تكبر أعظم من تكبر من يحتقر جميع المسلمين، ويعتقد أن لا ناجى غيره!، ولكنا نكتب لغير جهلة الوهابيين كى نقيه من عدواهم، وللمنصفين منهم كى يرجعوا إلى الحق إذا تبين.

أما عبارة ابن قدامة الحنبلى فى (مغنيه) الذى هو من أجلّ كتب الحنابلة أو أجلها على الإطلاق فهاك نصها: قال فى صفة زيارته ﷺ فى الصفحة ٥٩٠ من الجزء الثالث: تأتى القبر فتولى ظهرك القبلة، وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبى الله وخيرته من خلقه، ، إلى أن قال: اللهم أجز عنا نبينا أفضل ما جازيت به أحدًا من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه به الأولون والآخرون، إلى أن قال: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤)، وقد أتيتك مستغفرًا من ذنوبى مستشفعًا بك إلى ربى.

فانظر إلى استشفاعه به وهو فى قبره الـــذى يحرمـــه الوهابيون (الحنابلة)!، وأظن أنهم لا يجرءون على التفرقة بين الاستشفاع والتوسل، وإن كنا لا نستبعد منهم ما يعقل وما لا يعقل، كما نعتقد أنهم لا يفهمون إلا ما يفهمه الناس من أن الزائر يستغفر والرسول يستغفر أيضًا وهـــو فـــى البرزخ، وإلا فلا معنى لإيراد هذه الآية.

ولا بُعد فى استغفاره ﷺ بعد موته، فقـــد ورد فـــى الحديث الصحيح: (تعـــرض علـــىَّ أعمـــالكم، أى: بعـــد الموت، فإن وجدت خيرًا حمدت الله، وإن وجـــدت شـــرًا استغفرت لكم)، وقد أطال المناوى وغيره فى تصحيح هذا الحديث، فأنت تراه أثبت الاستغفار لنا بعد وفاتـــه بـــنص الحديث.

وفى شرح المقنع المطبوع مع المغنى على نفقة جلالة الملك ابن سعود وبتصحيح الأســـتاذ رشـــيد رضـــا فـــى الصفحة ٤٩٥ مثله حرفًا بحرف، وفيه زيادة على ذلك ما نصه: روى الدارقطنى عن ابن عمـــر رضي الله عنهما قـــال: قـــال رسول الله ﷺ: (من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنمـــا زارنى فى حياتى) وفى رواية: (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أ.هـ، والدارقطنى من أعظم المحـــدثين تحريًـــا وأكثرهم تشددًا فى الحديث، ولكنه وافـــق علـــى حـــديث الزيارة كغيره من الحفاظ النقاد كما بينه السبكى فى (شفاء

السقام) بما لا مزيد عليه.

فهذا كلام الحنابلة الأُوَل المتبعين لمذهب الإمام أحمد، المتمسكين بسنة النبى ﷺ ومحبته كسائر علماء المذاهب.

ولنذكر لك بعد ذلك ما وعدنا به من أدلة التوسل من السنة الصحيحة فنقول:

شيء من أدلة التوسل:

جواز التوسل وحسنه معلوم لكل ذى دين، وكأنه مركوز فى الفطر الإنسانية أن يُتَوَسَّل إلى الله بأنبيائه وأصفيائه والمقربين لديه، ولذلك يذهب الناس يوم القيامة للأنبياء كى يشفعوا لهم لمنزلتهم عنده، وإن كان الله أقرب إليهم من حبل الوريد، وأتباع كل نبى كانوا يتوسلون إلى الله بذلك النبى.

وقد ثبت التوسل به ﷺ قبل وجوده، وبعد وجوده فى الدنيا، وبعد موته فى مدة البرزخ، وبعد البعث فى عرصات القيامة.

(١) أما التوسل به قبل وجوده: فيدل له ما أخرجه الحاكم وصححه، ولم يتعقبه الذهبى فى كتابه الذى تعقب به الحاكم فى مستدركه.

وقد صح عن مالك - أيضًا على ما رواه القاضى عياش فى (الشفاء) - أن آدم لما اقترف الخطيئة توسل

إلى الله بمحمد ﷺ فقال له: من أين عرفت محمدًا ولم أخلقه؟، فقال: وجدت اسمه مكتوبًا بجنب اسمك فعلمت أنه أحب الخلق إليك، فقال الله: إنه لأحب الخلق إلىَّ وإذ توسلت به فقد غفرت لك.

وقال مالك للمنصور وقد سأله: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل النبى ﷺ؟ فقال له الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك إلى الله ووسيلة أبيك آدم. يشير إلى ذلك الحديث، وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (البقرة: ٨٩): إن قريظة والنضير كانوا إذا حاربوا مشركى العرب استنصروا عليهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان، فينتصرون عليهم، وهو مروى عن ابن عباس وقتادة وغيرهما، فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده.

(٢) أما التوسل به بعد وجوده فى حياته: فلا أظن أن أحدًا يمارى فيه، فقد كانوا يذهبون إليه فى كل شدة: إذا أجدبوا، أو نزلوا منزلاً فلم يجدوا ماء، وعندما يمسهم ضر أو كرب، مما لا يسعنا الإفاضة فيه الآن، وإن أنكره منكر ملأنا له الدنيا أدلة وبراهين، وإن سموا بعضه استغاثة فلا ضرر فإنه يثبت المطلوب بالطريق الأولى ويرد عليهم على كل حال، والنزاع ليس فى ألفاظ

وعبارات كما قلنا من قبل.

ولكن نسوق لك الآن حديثًا صحيحًا أخرجه الترمذى وصححه والنسائى والبيهقى والطبرانى بأسانيد صحيحة اعترف بها الحفاظ حتى الشوكانى: رووا جميعًا عن عثمان بن حنيف ﵁ أن رجلاً أعمى جاء إلى النبى ﷺ وهم جلوس معه، فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصبر، فقال: ليس لى قائد وقد شق علىَّ فقد بصرى، فقال له: (ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم شفعه فىَّ)، وفى رواية: (فإن كان لك حاجة فمثل ذلك) قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيرًا كأنها لم يكن به ضر.

هذا هو الحديث الصحيح الصريح الذى كان ينبغى أن يقطع النزاع.

ولكن السخيف المتعصب لا يعدم خيالاً فاسدًا وكلامًا فارغًا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٤). فلننتظر حتى يتخيل، وإنى ألفت نظرك إلى قوله ﵇: (فإن كان لك حاجة فمثل ذلك) وإلى ندائه ﷺ وهو غائب عنه، وهو مما يحرمه الوهابيون أو يجعلونه شركًا.

(٣) وأما التوسل به بعد وفاته: فيمكننا أن نستدل عليه بهذا الحديث، فإن قوله ﷺ: (فإن كان لك حاجة فمثل ذلك) صريح فى جوازه بلا قيد أو شرط، ويدل له أيضًا ما رواه الطبرانى والبيهقي والترمذى بسند صحيح عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان زمن خلافته فى حاجة له فكان لا يلتفت إليه، فرجا عثمان بن حنيف أن يكلمه فى شأنه فعلَّمه الدعاء المذكور فتوضأ وصلى ثم دعا به كما علمه، ثم جاء إلى باب عثمان فأخذه الخادم وأدخله عليه فأجلسه بجانبه على الطنفسة ثم قضى حاجته وقال له: إذا عرضت لك حاجة فأتنا، فلما قابل الرجل عثمان بن حنيف قال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته فيها، فقال له: والله ما كلمته ولكنى كنت مع رسول الله ﷺ فدخل عليه أعمى، وذكر الحديث.

هذا وقد توسل ﷺ بالأنبياء السابقين بعد موتهم كما فى الحديث الصحيح.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد ابن هاشم أم على بن أبى طالب رضي الله عنه، وكانت قد ربت النبى ﷺ، فدخل عليها رسول الله ﷺ فجلس على رأسها ثم قال: (رحمك الله يا أمى بعد أمى). وذكر ثناءه عليها، ثم كفنها ببردته وأمر بحفر قبرها. قال: فلما بلغوا

اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: (الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين).

أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح، وروى ابن أبى شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك، وروى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضي الله عنه.

ثم نقول: إنهم كانوا يتبركون بآثاره ﷺ بعد موته، فقد ثبت أنه كان له ﷺ جبة عند أسماء بنت أبى بكر يستشفون بها، ولا معنى لهذا إلا أنهم كانوا يتوسلون بآثاره إلى الله فيشفيهم ببركتها.

والتوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد كما يفهمه هؤلاء، أفتراهم يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به؟!، وفى الباب شىء كثير لعلنا نذكره بعد.

أما توسل عمر بالعباس حينما استسقى به دون النبى ﷺ فلكون ذلك هو سنة الاستسقاء، أو لكون العباس من ذوى الحاجة للمطر، أو لكون عمر أراد أن يبين للناس أنه يجوز التوسل بغيره ﷺ لفضله أو لقرابته منه عليه السلام، أو لخوفه على ضعفاء المسلمين وعوامهم إذا تأخر

المطر بعد التوسل، أو ليدلهم على أن التوسل بالمفـــضول جائز مع وجود الفاضل، وإلا فعليٌّ أفضل مـــن العبـــاس وكذا عمر.

على أن البيهقى فى (دلائل النبوة) أخرج مـــا يـــأتى، وكذا أخرجه ابن أبى شيبة بسند صحيح عن مالك الـــدار خازن عمر ﵁ قال: أصاب الناس قحط فى زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقـــال: يـــا رســـول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رســـول الله ﷺ فى المنام فقال: (ائت عمر فاقرئه السلام وأخبـــره أنهـــم مسقون، وقل له: عليك الكَيِّسُ الكَيِّسُ)، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر ﵁ ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

ومحل الاستشهاد فى هذا الأثر طلبه الاستـــسقاء مـــن النبى ﷺ بعد انتقاله وإقرار عمر إياه على ذلك.

هذا وأحب أن تتذكر ما قلناه من أن المسئول هـــو الله تعالى لا فاعل غيره ولا خالق سواه، وإنما نسأله بمنزلـــة حبيبه لديه ومحبته له، وذلك شىء ثابت لا يتغير فى الدنيا ولا فى الآخرة.

ومن شك فى منزلته أو قربه ﷺ فقد كفر، على أن قول عمر بمحضر من الصحابة إنا نتوسل إليك بعم نبيك يدل على جواز التوسل بالمنزلة وإلا لم يكن لـــه معنـــى، وأى حاجة إليه إذا كان المقصود دعاء العباس، وهل ذلك

من دعاء العباس؟!.

(٤) أما التوسل به فى عرصات يوم القيامة: فلا حاجة للإطالة فيه، فإن أحاديث الشفاعة بلغت مبلــغ التــواتر، وفيها: أن الناس يذهبون إلــى الأنبيــاء يطلبــون مــنهم الشفاعة، إلى آخر ما هو معروف: (ضاق الكلام بنا مــن عُظم ما اتسعا).

الخلاصة:

والخلاصة أنه مما لا شك فيه أن النبى ﷺ له عنــد الله قدر علىّ، ومرتبة رفيعة، وجاه عظــيم، فــأى مــانع شرعى أو عقلى يمنع التوسل به - فضلاً عن الأدلة التى تثبته - فى الدنيا والآخرة. ولسنا فى ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه!، فنحن ندعوه بما أحب أيًّا كان، تارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها، وتارة نسأله بمن يحبه من خلقه كما فى حديث آدم السابق، وكما فى حديث فاطمة بنت أسد الذى ذكرناه، وكما فى حديث عثمان بــن حنيف المتقدم، وتارة نسأله بأسمائه الحسنى كما فى قولــه ﷺ: (أسألك بأنك أنت الله)، و بصفته أو فعله كما فــى قوله فى الحديث الآخر: (أعوذ برضــاك مــن ســخطك وبمعافاتك من عقوبتك). وليس مقصورًا على تلك الدائرة الضيقة التى يظنها الجاحدون.

وسر ذلك أن كل ما أحبه الله صح التوسل به، وكــذا

كل من أحبه من نبى أو ولى، وهو واضح لدى كل ذى فطرة سليمة، ولا يمنع منه عقل ولا نقل، بل تضافر العقل والنقل على جوازه، والمسئول فى ذلك كله الله وحده لا شريك له، لا النبى، ولا الولى، ولا الحى، ولا الميت. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٧٨).

وإذا جاز السؤال بالأعمال فبالنبى ﷺ أولى لأنه أفضل المخلوقات، والأعمال منها، والله أعظم حبًّا له ﷺ من الأعمال وغيرها، وليت شعرى ما المانع من ذلك، واللفظ لا يفيد شيئًا أكثر من أن للنبى قدرًا عند الله، والمتوسل لا يريد غير هذا المعنى، ومن ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا.

لو كنا مثلهم نأخذ بالظنة ونتصيد الشبه ونسارع إلى تكفير المسلمين لأمكن أن نقول لهم: إن من لا يعرف قدر النبى أولى بالإشراك ممن عرفه، ومن استباح دماء المسلمين أقرب إلى الضلال ممن استبرأ لدينه وعرضه.

وبعد، فمسألة التوسل تدل على عظمة المسئول به ومحبته، فالسؤال بالنبى إنما هو لعظمته عند الله أو لمحبته إياه، وذلك مما لا شك فيه.

على أن التوسل بالأعمال متفق عليه منا ومنهم، فلماذا لا نقول إن من يتوسل بالأنبياء أو الصالحين هو متوسل

بأعمالهم التى يحبها الله تعالى، وقــد ورد بهــا حــديث أصحاب الغار فيكون من محل الاتفاق؟.

ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم مــن حيث إنهم صالحون فيرجع الأمر إلى الأعمال الــصالحة المتفق على جواز التوسل بها كما قلنا من قبل.

التوسل والاستغاثة (٣)

لا تزال ترد إلينا الرسائل بشأن التوسل طلبًا للتوضيح والإسهاب.

وقد ذكر بعض مرسليها أن من النـــاس مـــن يكفـــر المتوسلين برسول الله ﷺ الذى سنتوسل به جميعًا يـــوم القيامة على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة. ولو قـــالوا إن فى المسألة تفصيلاً أو أن بعض العبارات التى يقولهـــا المتوسلون أو الزائرون ينبغى التحاشى عنها، وتعليم مـــا يصح أن يقول فى توسله أو عند زيارته، لقبلنا منهم ذلـــك وشكرناهم عليه، فلعلنا بزيادة التقدير والتكرير نزيل تلـــك العقيدة التى هى أخطر شىء على الإسلام والمسلمين:

ولنجعل الكلام معهم فى مقامين حتى نفحمهم بالمعقول والمنقول، فنقول: الكلام معهم من جهة الدليل العقلى وما نضطر إليه من الدليل النقلى:

قبل الخوض فى الموضوع نحب أن نشترط عليهم أن يصبروا صبر المرتاضين بصناعة المنطـــق، العـــارفين بقوانين المناظرة، فلا يخرجوا عن الفرض الذى نفرضـــه حتى نتم الكلام فيه، وأن يعرفوا موضـــوع البحـــث فـــلا ينتقلوا عنه إلى غيره، وسنفرض الفروض كلها ثم نبطلها واحدًا واحدًا.

ولينظروا حتى لا يخـــتلط المعقـــول بـــالمنقول، ولا

المنقول بالمعقول، وسنوفى كُلاًّ حقه إن شاء الله، وعسى ألا يكونوا بعد ذلك ممن يسلم المقدمات ثم ينازع فى النتيجة، فنقول:

هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونها شركًا من حيث إنهما توسل واستغاثة، فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذًا شرك، واستغاثة الرجل بمن يعينه فى بعض شئونه شرك، واستغاثة الملك بجيشه لدى الحروب شرك، واستغاثة الجيش بالملك فيما يصلح أمره شرك، بل نقول: يلزمهم على هذا الفرض أن طلب المعونة من أرباب الحرف والصنائع التى لا غنى للناس عنها شرك، وطلب المريض للطبيب شرك، بل يلزم بناء على تلك الكليات التى تقتضيها الحيثية أن استغاثة الرجل الإسرائيلى بسيدنا موسى عليه السلام وإجابته إياه كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص: ١٥) شرك، إلى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل.

هذا كله إن كانوا يقولون: إنهما ممنوعة من حيث إنها استغاثة بغير الله كما فرضنا، فإن قالوا: إن الاستغاثة والتوسل بالأموات شرك دون الأحياء، قلنا لهم: لا معنى لهذا بعد أن سلمتم أن الاستغاثة بغير الله من الأحياء ليست بشرك، وبعد ما ورد به القرآن ووقع عليه الإجماع

فى كل زمانٍ ومكان، ولا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركًا تارة، وغير شرك تارة أخرى، فإن فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال.

وإن قالوا: إننا لا نعتقد التأثير الذاتي من الأحياء الذين نطلب منهم المعونة، قلنا لهم: يجب إذًا أن تجعلوا مناط المنع هو اعتقاد التأثير الذاتى لغير الله لا فرقٍ بين الأحياء والأموات. فإن وجد ذلك الاعتقاد كان شركًا وإلا فلا، سواء كانت الدعوة لحى أو ميت، وإن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التى تفهم من ظواهر الألفاظ، وجب أن يكون ذلك كله شركًا، حتى طلب الرجل من أخيه أن يعينه فى الحمل على دابته، أو بناء داره، أو حفر نهره، إلى غير ذلك كما أوضحنا فى الفرض الأول.

فإن قالوا: إننا ننسب تلك الأفعال والتأثيرات إلى غير الله تعالى من الأحياء معتقدين أن الخلق والإيجاد ليس إلا لله تعالى وأن الحى ليس له إلا الكسب لا غير، قلنا لهم كذلك من يطلب من الأموات أو يتوسل بهم، والقرينة فيهما واحدة وهو إيمانه بأن الله بيده ملكوت السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا خالق غيره، ولا موجد سواه، وإن كان سر المنع عندهم هو: أن الميت لا يقدر على شىء مما طلب منه.

فنقول لهم:

أولاً: لا يلزم من ذلك أن يكون الطلب شركًا بل عبثًا فقط، والاستغاثة بالأحياء أقرب إلى الشرك منها بالأموات، لأنها أقرب إلى اعتقاد تأثيرهم في الإعطاء والمنع بمقتضى الحس والمشاهدة لولا نور الإيمان وساطع البرهان.

ثانيًا: ثم نقول لهم: ما معنى قولكم: إن الميت لا يقدر على شيء، وما سره وباطنه عندكم، إن كان ذلك لكونكم تعتقدون أن الميت صار ترابًا، فما أضلكم في دينكم، وما أجهلكم بما ورد عن نبيكم، بل عن ربكم من ثبوت حياة الأرواح، وبقائها بعد مفارقة الأجسام، ومناداة النبي ﷺ لها يوم بدر بقوله: (يا عمرو بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا فلان ابن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا) فقيل له: ما ذلك؟ فقال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) ومن ذلك تسليمه على أهل القبور ومناداته لهم بقوله: (السلام عليكم يا أهل الديار). ومن ذلك عذاب القبر ونعيمه، وإثبات المجيء والذهاب إلى الأرواح، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي جاء بها الإسلام وأثبتتها الفلسفة قديمًا وحديثًا.

ولنقتصر هنا على هذا السؤال:

أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن

بذلك أم لا؟ فإن لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم، لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤)، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم: إن الأنبياء وكثيرًا من صالحى المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية، فإذا ثبت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو أفضل منهم أولى.

على أن حياة الأنبياء مصرح بها فى الأحاديث الصحيحة، وقد رأى ﷺ موسى عليه السلام يصلى فوق الكثيب الأحمر، وراجعه مرارًا عندما فرضت الصلاة خمسين فى كل يوم وليلة حتى صارت خمسًا، كما قابل آدم وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، فهذا كله يثبت حياة الأرواح وأنه لا شك فيها.

فإذا نقول: حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية التى قدمنا بعضها فلا يسعنا بعد ثبوت الحياة إلا إثبات خصائصها، فإن ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما أن نفى اللازم يوجب نفى الملزوم كما هو معروف.

وأى مانع عقلاً من الاستغاثة بها والاستمداد منها كما يستعين الرجل بالملائكة فى قضاء حوائجه، أو كما

يستعين الرجل بالرجل (وأنت بالروح لا بالجسم إنسان).

وتصرفات الأرواح على نحو تـصرفات الملائكـة لا تحتاج إلى مماسة ولا آلة، فليست على نحو ما تعرف من قوانين التصرفات عندنا فإنها من عالم آخر ﴿وَيَـسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّـي﴾ (الإسـراء: ٨٥) وماذا يفهمون من تصرف الملائكة أو الجـن فـي هـذا العالم؟.

ولا شك أن الأرواح لها من الإطـلاق والحريـة مـا يمكنها من أن تجيب من يناديها، وتغيث من يستغيث بها، كالأحياء سواء بسواء، بل أشد وأعظم. وقد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم أن الأرواح القوية كروح أبـي بكـر وعمر ربما هزمت جيشاً، إلى آخر ما ذكرناه، فإن كانوا لا يعرفون إلا المحسوسات ولا يعترفون إلا بالمـشاهدات فما أجدرهم أن يسموا طبيعيين لا مؤمنين!.

على أننا نتنزل معهم ونـسلم لهـم أن الأرواح بعـد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئا، ولكن نقول لهم: إذا فرضنا ذلك وسلمناه جدلاً فلنا أن نقرر: أنـه ليـست مساعدة الأنبياء والأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح فى هذا العالم على نحو ما قدمنا، بل مـساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم بالدعاء لهـم، كمـا يـدعو الرجل الصالح لغيره، فيكون من دعاء الفاضل للمفضول،

أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه، وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسون ويعلمون، بل الشعور أتم والعلم أعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية.

وقد جاء فى الحديث: أن أعمالنا تعرض عليه ﷺ فإن وجد خيرًا حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا، ولنا أن نقول: إن المستغاث به والمطلوب منه الإغاثة هو الله تعالى، ولكن السائل يسأل متوسلاً إلى الله بالنبى أو الولى فى أنه يقضى حاجته، فالفاعل هو الله، ولكن أراد السائل أن يسأله تعالى ببعض المقربين لديه الأكرمين عليه، فكأنه يقول: أنا من محبيه أو (محسوبيه)، فارحمنى لأجله، وسيرحم الله كثيرًا من الناس يوم القيامة لأجل النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء.

وبالجملة: فإكرام الله لبعض أحباب نبيه لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول، ومن ذلك الذين يصلون على الميت ويطلبون من الله أن يكرمه ويعفو عنه لأجلهم بقولهم: وقد جئناك شفعاء فشفعنا فيه.

والمقصود من ذلك كله إثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض، على أن توجه الإنسان إلى النبى أو الولى والتجاءه إليه تحس به روح النبى والولى تمام الإحساس، وهو كريم ذو وجاهة عند الله تعالى، كما قال تعالى فى

بعض أصفيائه: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩)، وكما قال تعالى فى بعض آخر: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (آل عمران: ٤٥)، فتعتنى تلك الروح بذلك الملتجئ أشد الاعتناء فى تسديده وتأييده، والدعاء له هى والملائكة الذين يجلونها ويحبون مسرتها ورضاها.

والأنبياء والأولياء محبوبون للملائكة بشاهد قوله ﷺ: (إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل فى السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه) إلى آخر الحديث، وأن الملائكة لتقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (فصلت: ٣١) كما نص على ذلك القرآن الشريف.

وذلك سر التوجه إلى الأولياء وزياراتهم، لتتنبه أرواحهم لحال الزائر، وتلتفت إلى معونته بما أعطاهم الله تعالى من الخصائص، كما تنفع أخاك بما أعطاك الله من قوة أو وجاهة أو مكانة أو ثروة أو أعوان أو أنصار إلى آخره، وإن الإنسان هو هو فى الدنيا والآخرة، من حيث روحه التى هى باقية فى العالمين جميعًا. وليس الإنسان إنسانًا إلا بها كما شرحنا، والأمر جلى (ولكنها الأهواء عمت فأعمت).

والخلاصة:

أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد

لغير الله تعالى، والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها، فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر، على خلاف للمعتزلة فى خلق الأفعال، وإن اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر.

وأنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس فى الأموات، هو أنهم متسببون ومكتسبون كالأحياء، لا أنهم خالقون موجودون كالإله، إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون فى الأحياء إلا الكسب والتسبب، فإذا كان هناك غلط فليكن فى اعتقاد التسبب والاكتساب؛ لأن هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن فى المخلوق كما قلنا، وإلا لم يكن مؤمنًا، والغلط فى ذلك ليس كفرًا، ولا شركًا.

ولا نزال نكرر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد فى الميت أكثر مما يعتقد فى الحى، فيثبت الأفعال للحى على سبيل التسبب ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتى والإيجاد الحقيقى، فإنه لا شك أن هذا مما لا يعقل.

فغاية أمر هذا المستغيث بالميت – بعد كل تنزل – أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد، ومن يستطيع أن يقول إن ذلك شرك؟، على أن التسبب مقدور للميت وفى إمكانه أن يكتسبه كالحى بالدعاء لنا، فإن الأرواح تدعو لأقاربهم كما فى الحديث الشريف إذا

بلغهم عنهم ما يسوءُهم، فيقولون: (اللهم راجع بهــم أو لا تمتهم حتى تهديهم).

بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسها كالأحياء، ويمكنها أن تلهمك وترشدك كالملائكة، إلى غير ذلــك علــى مــا شرحناه، وكثيرًا ما انتفع الناس برؤيا الأرواح فى المنام، ولعلنا نعود إليه.

تعليق على بعض ما جاء في مقال

الأستاذ الشيخ الجبالي نقلاً عن بعض العلماء الغلاة

قال فضيلته عن ذلك العالم: بدأ الكلام معي في العتب على فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ يوسف الدجوى فيما نسبه إلى الغلاة من تكفيرهم بالتوسل والاستغاثة بالموتى، فقد زعمهم الأستاذ يسوون بين الاستغاثة والتوسل في الإنكار، وليس الأمر كذلك عندهم، فهم وإن لم يقولوا بالتوسل لا ينكرونه، إنكارهم للاستغاثة ولا يكفرون به، إنما المنكر في نظرهم أشد الإنكار هو الاستغاثة بالموتى.

ولقد كان من حق الأستاذ أن يفحص كلامهم ويتثبت مما يقولون قبل أن ينسب إليهم ما نسب.

ونحن نقول **أولاً**: إننا كتبنا ما كتبنا إجابة عن سؤال يقول سائله: إنه اشتد النزاع في التوسل برسول الله ﷺ حتى إن بعضهم كفر من يتوسل به عليه السلام.

وثانيًا: نقول لذلك العالم الغالي: يكفينا منكم تكفير المسلمين بالاستغاثة على ما يفهم من كلامك السابق.

التوسل والاستغاثة (٤)

س: هل جاء فى السنة أن الرسول ﷺ علَّم الناس أن يسألوا الصالحين من الأموات ويطلبوا منهم الدعاء؟[١]. أرجوا أن تذكر ولو حديثًا واحدًا.

الجواب: ونحن نقلب عليه السؤال أولاً، فنقول: هل جاء فى السنة أن الرسول ﷺ نهى الناس عن أن يسألوا الصالحين ويطلبوا منهم الدعاء؟ أرجو أن تذكر لنا شيئًا من ذلك ولو حديثًا واحدًا.

ثم نقول له ثانيًا: إن جواز الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بها بل على عدم النهى عنها كما هو مقرر فى علم الأصول: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ (الأنعام: ١٤٥) إلى آخره، فكل ما لم

(١) جاءنا خطاب مطول بإمضاء (مسلم بمكة) أطال فيه صاحبه وأعاد وأبدى وأكثر وكرر، ظنًّا منه أنه أتى بالقواصم، وقد ألح فى طلب الإجابة حتى قال فى آخره: (يا فضيلة الشيخ أرجوك وأناشدك بالله الذى لا إله إلا هو إلا ما حققت هذا الموضوع، وأنصفت فيه) ونحن نلخص ما جاء فيه من الأسئلة معرضين عما فيها من غمز مشوب بأدب وتعريض نسامحه فيه فنقول وبالله التوفيق.

يرد فيه نص بالحظر فهو مباح على ما تقتضيه الآية، وعلمنا ﷺ فى السنة الصحيحة: أن ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه، وما نهى عنه اجتنبناه ولم نفعله، وما سكت عنه فهو عفو، فهذه هى قواعد العلم الذى يعرفه العلماء.

وأما شبهة الموت فهى شبهة واهية لأنكم بين أمرين: إما أن تنكروا إدراك الأموات وعلمهم ودعاءهم وسماعهم، وإما أن تقروا بذلك، فإن أنكرتموه ملأنا لكم الدنيا أدلة وبراهين على ثبوت ذلك لهم مثل: دعاء آدم وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام لنبينا ﷺ ليلة المعراج كما فى حديث البخارى ومسلم وغيرهما، وكما فى حديث (تعرض علىَّ أعمالكم فإن رأيت خيرًا حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم)، وكما فى حديث عرض أعمال الأحياء على الأموات ودعائهم لهم، وقد ذكره ابن تيمية نفسه فى فتاويه، واعترف به ابن القيم كل الاعتراف وقرره أتم التقرير.

ومن محاسن المصادفات فى هذا ما يقرره الأوربيون الآن مما يوافق ذلك، وقد قرره قبلهم بعشرات القرون الفلاسفة الأقدمون مثل أفلاطون وغيره من الفلاسفة، فالمسألة متفق عليه بين علماء الدين وعلماء الدنيا، أو نقول: بين المسلمين وغير المسلمين، أو نقول: بين أهل الأثر والنقل، وبين أهل الفلسفة والعقل.

أما إذا اعترف الوهابيون بأن للأموات إدراكًا وعلمًا وسماعًا، وأنهم يدعون ويردون السلام إلى غير ذلك كما ورد فى السنة، ثم منعوا طلب ذلك منهم كانوا متناقضين، أو نقول: كانوا ممن يسلم بالمقدمات وينازع فى النتيجة، أو ممن يقطعٍ اللوازم عن ملزوماتها، وهو مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل.

على أننا ذكرنا فى ذلك ما يقطع الشغب من أصله، والمراء من أسه، وذلك هو الحديث الصحيح الذى رويناه عن عثمان بن حنيف فى التوسل به فى حياته ﷺ وبعد مماته، وقد قال فيه: (يا محمد اشفع لى عند ربك)، ولا معنى للشفاعة إلا الدعاء الذى يكون منه ﷺ، وفى الحديث الصحيح: (اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك) وفى حديث آخر: (بحق نبيك والأنبياء قبله).

فالتوسل بالصالحين والدعاء ثابت وواقعٍ، وقد قلنا فى بعض ما كتبناه: لا معنى لكون هذا شريكًا كما يقوله الغلاة، فإن الحى إذا طلب من الميت الذى هو حى بروحه، متمتع بلوازم الحياة وخصائصها فإنما يطلب منه على سبيل التسبب والاكتساب، لا على سبيل الخلق والإيجاد؛ لأنه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحى، وهو إذا طلب من الحى فإنما يطلب منه على هذا الوجه لا على جهة الخلق والإيجاد، والطلب من المخلوق

على سبيل التسبب ليس شكرًا ولا كفرًا، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك، ولو فرضنا أن الميت لا عمل لـــه، فـــإن خطأ المنادى أو المستغيث على هذا الفرض إنما هو فـــى اعتقاد السببية لا الإلهية، واعتقاد السببية فى غير الله ليس هو اعتقاد الإلهية كما يظنه الجاهلون، وقد عرفـــت ممـــا قدمناه أنه ليس غلطًا أيضًا، وإنما الغالطون هـــم الغـــلاة، وإن كان التوسل بمنزلته عند الله فـــالأمر واضـــح؛ لأن الموت لا يغير المنزلة عند الله تعالى.

س: هل الرسول ﷺ أهمل نوعًا من التوسل إلـــى الله تعالى، أو ترك شيئا مما يقرب إلى الله تعالى؟.

ج: لم يهمل الرسول ﷺ شيئًا مما يقرب إلـــى الله، ولا ترك نوعًا من أنواع التوسل، وقد علمنا التوسل فـــى حديث عثمان بن حنيف المتقدم، بل توسل هو بحقه وحق الأنبياء قبله، وعرفنا أن آدم عليه السلام توسل به قبل وجـــوده، وقد بين ذلك كله فيما سبق.

وبعد، فماذا عسى أن يدل ذلك للسائل، فلو فرضنا أن الرسول لم يتوسل بالصالحين لأمكن أن يقـــال إن مقامـــه أرفع من كل مقام، على أنـــه ﷺ كـــان عريقـــا فـــى العبودية، وكان أعلم خلق الله بإطلاق الربوبية وســـعتها،

وبأن الكل عبيدها، وتحت قهرها، وليس هناك إلا فضلها الواسع، وكرمها الشامل، وأنه لابد من ظهور ذل العبودية على كل أحد، وذلك من تعظيم الربوبية.

ويعلم ﷺ أن عبيد السيد المطلق لهم منازل عنده، وأن لكل منهم مزية لديه، وأن المقتضى لعطائه تعالى إنما هو العبودية له ﷻ، فلابد أن يكون بينهم ارتباط العبيد وتبادل المنافع، وعلى هذا قام بناء الكون.

كان ﷺ أعرف الناس بذلك كله، فطلب الدعاء من عمر وابن عمر من رسول الله، وأمر عمر أن يطلب الدعاء من أويس القرنى، وأين أويس من عمر، وسأل الله ﷺ بحق الأنبياء قبله كما فى حديث فاطمة بنت أسد، وأمرنا أن نتوسل به إذا عرضت لنا حاجة إلى الله، فقال لذلك الأعمى: (فإن كان لك حاجة فمثل ذلك)، وقد فعلها الرجل الذى كان يتردد على عثمان بن عفان فى خلافته، وقد بينا ذلك أتم البيان.

على أننا نريد منكم أن لا تكفروا المسلمين بمثل هذا العمل الذى لا شىء فيه، ونكتفى منكم أن تقولوا إنه مباح أو خلاف الأولى، أو مكروه (إذا أردتم) ولو قلتم ذلك لاحتملناه منكم، وإن كان غير صحيح، ولكن قومك يا حضرة السائل الذى يظن أنه منصف وغير متعصب يعملون خلاف ذلك.

س: هل ثبت ما يروى عنه ﷺ: (ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا بينته لكم)؟ وإذا كان ثابتًا فهل الطلب من الأموات أن يدعوا للأحياء مما قاله الرسول ﷺ وأمر به وفعله أم لا؟.

ج: نعم ثبت أن رسول الله ﷺ قال ذلك، ودعاء الأموات داخل فى دعاء الأخ لأخيه الذى لا يمكنكم أن تمنعوه، وقد عرفتنا السنة الصحيحة أنه لا فرق بين الحى والميت فى ذلك، وأن الميت يدعو كما يدعو الحى على ما سبق، فإن الموت ليس فناء أو عدمًا كما يظنه الجاهلون، وإنما هو انتقال من دار إلى دار:

لا تظنوا الموت موتًا إنه

لحياة وهو غايات المنى

لا ترعكم هجمة الموت فما

هو إلا نقلة من ها هنا

ولا نزال نكرر أنه قد دعا آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء لنبينا ﷺ، وأن النبى يدعو لأمته فى البرزخ، بل آباؤنا يدعون لنا على ما عرفت وتعرف، على أننا نكتفى منكم أن تقولوا إنه مباح لا قربة، أو على الأقل لا

تكفروا به مسلمين، وقد قلنا فى ما كتبناه سابقًا: أنه لا وجه لذلك ولو قلنا: إن الميت لا يمكنه أن يدعو ولا أن يفعل شيئًا، فإن الغلط على هذا الفرض يكون غلطًا فى اعتقاد التسبب لا الإلهية، ولا نزال نكرر أن معتقد السببية فى المخلوقات لا وجه لتكفيره ولا معنى له، فإن تكرر أن معتقد السببية فى المخلوقات لا وجه لتكفيره ولا معنى له، فإن من يجعل غير السبب سببًا يكون جاهلاً لا كافرًا، ويكفى هذا.

س: هل بين الرسول ﷺ ما أمر به من الوسيلة فى آية المائدة عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧) أم لا؟.

ج: نعم بين لنا ﷺ كل ما نحتاجه إليه، على أن الوسيلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة، والقرآن عربى نزل بلغة العرب ولا وجه لقصركم إياها على نوع خاص فإنه قول بلا دليل، على أنه لا داعى لذلك كله فقد ثبت التوسل مصرحًا به فى حديث عثمان بن حنيف وغيره مما قدمناه، وقد جاء فى آخر الحديث المذكور: (فإن كان

لك حاجة فمثل ذلك) وقد عمل به فى زمن عثمان بن عفان كما بيناه فيما سبق.

س: هل يلزم من عدم دعاء الأموات ومخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم؟ وإذا قلتم بالتلازم فبينوا لنا وجهة بالبرهان، واذكروا لنا من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين من قال بجواز هذا النوع من التوسل؟.

ج: نعم من كان مثلكم ينكر التوسل والاستغاثة يجب أن ينكر كرامات الأموات، فإنه إذا لم يصح أن نتوسل إلى الله بالميت ولا يمكنه هو أن يدعو لنا ولا تستطيع روحه أن تفعل شيئًا كما هو اعتقادكم، فأى كرامة تكون له بعد ذلك؟، وما معنى إثباتكم إياها وقد نفيتم عنه كل عمل وكل قدرة، ومنعتم أن نتوسل به لله تعالى ليفعل لنا ما نريد لأجله؟ فأى شىء يبقى بعد ذلك.

وأما طلبكم ذكر من جوز ذلك من التابعين أو الأئمة المتبوعين فنحن نقول: إن الأمة كلها قبل ظهور ابن تيمية على هذا الجواز، ونتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول: هل يمكنكم أن تذكروا لنا من التابعين أو الأئمة المتبوعين من منع ذلك النوع من التوسل؟.

أليست المذاهب كله مجمعة علـــى توســـل الزائـــرين للحجرة النبوية به ﷺ؟ وقد ذكرنا لكم نص الحنابلة فى ذلك وكذلك جميع الأئمة، ولا نرى لكم سلفًا فيما تقولـــون بل جميع العلماء يصرحون بأن ذلك مطلوب من كل زائر لا جائز فقط، فهذا هو الإجماع، وقد مر من الأدلة العقلية والنقلية ما يكفى ويشفى.

ثم نقول لكم: ألم يعترف ابن القيم بأن الروح القويـــة لها من الأعمال بعد الموت ما لا تستطيعه حالة الحيـــاة، وقد وصل الأمر إلى أئمتكم أنفسهم؟.

فأنتم فى إثبات كرامات الأولياء وغيرها متناقـــضون تارة مع الهوى وتارة مع الحق، ويـــرحم الله مـــن قـــال: المبطل لابد أن يتناقض شاء أم أبى.

وأما تضليلنا إياكم فإنما هو لتكفير المسلمين، واستباحة دمائهم وأموالهم، إلى آخر ما كان يفعله الخوارج، وكـــان ينقمه عليهم الإمام علىٌّ ومن معه من الصحابة، ولو قلتم: إن الأولى أن يرجع الناس فى كل أمورهم إلى الله تعـــالى بلا واسطة، أو قلتم: إن هناك مقامًا تسقط فيـــه الأســـباب والوسائط كما قال إبراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام: (أما إليك فلا) عندما قال له: (ألك حاجة؟).

لو قلتم ذلك وسلكتم هذا المسلك لم ننكر علـــيكم ولـــم نشتد فى مناقشتكم ولو كان لكم رأى فى المـــسألة غيـــر

التكفير لقلنا: مجتهدون ظنوا ظنًّا وإلى الله أمرهم، وكم مجتهد أخطأ، ولكن أولئك الذين أخطأوا لم يقدسوا أنفسهم هذا التقديس، ولم يحملوا الناس على مذاهبهم بالسيف؛ لأنهم يجوزون أن يكون الحق فى جانب غيرهم، ويعلمون ما جاء عن الرسول: أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأن من رمى أخاه بالكفر فقد كفر أو كاد.

ولم يرض الإمام مالك من الخليفة المنصور العباسى أن يحمل الناس على الموطأ وهو هو عند مالك، ولا من الرشيد أيضًا أن يلزم الناس بما فيه احترامًا للأمة وعلمائها واتهامًا لنفسه، شأن أئمة الهدى وورثة الرسول ﷺ، والجاهل لا يعرف غير تعظيم نفسه، والعالم لا يعرف غير تعظيم ربه، ومن تعظيم الله تعظيم من عظم الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

ثم قال السائل: لا يمكننا أن نسيغ توجه المسلم العارف بربه الآنس بذكره إلى عبد من عباده انتقل من عالم إلى آخر، لا يعلم حاله فيه إلا الله، يسأله ويخاطبه بعد أن كان متلذذًا بخطاب الله تعالى ومناجاته، ولا يخفى عليكم حديث أم العلاء من صحيح البخارى، وفيه أنها شهدت لمهاجر – وهو أبو السائب – توفى عندها فقالت: أما شهادتى فيك لقد أكرمك الله، وأن الرسول ﷺ قال لها: (وما يدريك

أن الله أكرمه..)[1] إلى غير ذلك من الأحاديث من أمثاله.

وكلها تدل على أن الأموات قد أفضوا إلى ما قـدموا، وأنه لا يجوز لنا أن نحكم لأحد حكمًا جازمًا بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا ما ورد النص بأنهم من أهـل الجنة أو من أهل النار كما ورد فى أهل بـدر وبعـض الصحابة كعكاشة بن محصن.

ونحن نقول: إن حضرة السائل أدمج فى هذا الكـلام الخطابى أشياء لا نتركها له بل نناقشه الحساب فيها، أمـا التمويه بذكر توجه المسلم إلى ربه وتلذذه بذكره فهو لذيذ فى الأسماع يكاد يأخذ بمجامع النفوس، ولكن هـذا مقـام تحقيق علمى لا ينفع فيه التمويه ولا تفيد فيه الخطابة، وقد

---

(١) هذا نص الحديث الذى أشار إليه: عن أم العلاء – امرأة من الأنـصار – رضي الله عنها – وهى ممن بايع النبى صلى الله عليه وآله وسلم – قالت: إنـه اقتـسم المهـاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعـه الـذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلـت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتى عليك لقد أكرمـك الله، فقـال النبـى صلى الله عليه وآله وسلم: (وما يدريكِ أن الله أكرمه؟)، قلت: بأبى أنت يـا رسـول الله فمـن يكرمه الله؟، فقال: (أما هو فقد جاءه اليقين، والله إنى لأرجو لـه الخيـر، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى؟)، قالت: فوالله لا أزكـى أحـدًا بعده أبدًا.

قلنا فيما سبق: لو كان رأى الوهابيين أن هذا هو مقام الكمال لم نتعرض له، ولكنهم بدَّعوا وفسَّقوا وكفَّروا، فأين هذا مما يقوله السائل، فإن كان يريد أن الاشتغال بذكر الله ومناجاته أولى، فليس الخلاف بيننا وبينه فى الأولوية، ولكن الناس درجات بعضهم فوق بعض، ولا حرج على من يلتفت للأسباب والوسائط عالمًا أن الله هو الأول والآخر، فهو ممد كل شىء والمفيض على كل شىء، وإليه يرجع الأمر كله، ولا بين من ترك الأسباب ثقة بالمسبب فكان هذا غريقًا فى قدرته كما كان ذلك ناظرًا إلى حكمته، عاملاً بسنته، فلا حرج على هذا ولا ذاك وإن صح أن نقول: إن بعضهم أفضل من بعض.

وهل ما ذكره السائل من حديث التلذذ والأنس الذى قطعه خطاب الأموات صحيح أم هو تمويه وخيال؟ ولماذا لا يقول مثل ذلك فى الطلب من الأحياء؟ أليس الأُنس بالله ومناجاته خيرًا من الطلب من الأحياء أيضًا (ولو كان وزيرًا أو أميرًا) أم التفضيل الذى ذكره لا يتحقق إلا بين الطلب من الله والطلب من الأموات؟.

وقد أدمج فى كلامه ما يلهج به كثير من الجهلة من أن الميت لا ندرى حاله ولا ما مات عليه، وهو سوء ظن كبير بالمسلمين بل بالله تعالى، فنلفت نظر السائل: إلى أن من عاش على شىء مات عليه كما فى الحديث الشريف،

فهذه سنة الله الغالبة، وما عدا ذلك فشاذ لا يقــاس عليــه لحكمة يعلمها هو.

ثم نقول: إن الأمور فى هذا العالم مبنية على الظــن، حتى الأمور الشرعية والأحكام الفقهية، وعلى هذا يجــب أن نعامل أمواتنا فنغسلهم ونكفنهم ونــدفنهم فــى مقــابر المسلمين، ونورث أموالهم إلى غير ذلك.

ولسنا على اليقين الذى يريده السائل من أمرهم (ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد).

فعلينا أن نعد من عاش فى حياته على خير وصــلاح من أهل الخير والصلاح بعد موته، ولا يجوز لنــا غيــر ذلك اتباعًا لتلك الوساوس التى مــا أنــزل الله بهــا مــن سلطان.

وليت شعرى هل إذا رمينا أحدهم بأن أبــاه لا نــدرى حاله أمسلم هو أم كافر أفيغضب أم لا؟ وهل يريــد أن لا نعمل شيئًا إلا بناءً على جزم ويقين؟ إذًا يختل أمر الوجود وتبطل أحكامه.

أما حديث عثمان بن مظعون الذى أشار إليه الــسائل فالمراد منه: أنه ينبغى الخوف من سعة التصرف الإلهى، وأن مرتبة العبودية لا تتخطى مقام الرجاء والــضراعة، وأم العلاء قد قطعت على الله أنه مكرمه على سبيل الجزم فأخرجت ذلك مخرج الشهادة، وأظن أنها لو شــهدت لــه

بالدين والصلاح لتغير جواب رسول الله ﷺ وقد قـــال فى آخر الحديث: (وإنى لأرجو له الخير).

فهل يفرق السائل بين رجاء الخيـــر وظـــن الخيـــر؟، ولماذا لا يذكر لنا ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالـــك رضي الله عنه قال: مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيـــرًا فقـــال النبـــى ﷺ: (وجبت)، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال: (وجبت). فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت؟، فقال: (هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شـــرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء فى الأرض)، أو ما أخرجـــه عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة) فقلنـــا: وثلاثـــة؟ قـــال: (وثلاثة)، فقلنا: واثنان، قال: (واثنان) ثم لم نـــسأله عـــن الواحد. أو ما أخرجه البخارى أيـــضًا قولـــه ﷺ فـــى شهداء أحد: (أنا شهيد على هؤلاء).

ثم نقول للغلاة جميعًا: لماذا لا تذكرون أو لا تعملـــون – ولا نقول لا تصدقون – بما أخرجه البخارى أيضًا من قوله ﷺ: (والله ما أخشى عليكم الشرك ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا فتنافسوها) إلى آخره، بل سارعتم إلـــى القول بالشرك الذى لا يخافه ﷺ على أمته فأوسعتموهم ذبحًا وقتلاً معتقدين أنهم مشركون خارجون عـــن الملـــة، وكأن السائل قد أحس بذلك كله فقال: على سبيل الجزم.

ونحن نقول له: يكفينا الظن، وحسن الظن بالمسلمين مطلوب خصوصًا الصالحين، وأما الجزم الذى تريده فلم يشترطه أحد كما قلنا.

ثم قال السائل: وإن من المجازفة أن نزيد على حسن الظن فيمن لم يرد لهم شهادة من المعصوم.

ونحن نقول له: إن من المجازفة أن تسىء الظن بمن لم يرد فيهم نص عن المعصوم، خصوصًا من ظهرت عليه علامات الخير وأمارات الصلاح، أو ظهرت له كرامات فى حياته وبعد مماته، وتجويز أن يكون قد تغير حاله هو من سوء الظن بالمسلمين بل بالله تعالى، كما أنه عقوق للآباء والأجداد، وما معنى الزيادة التى زدتها حضرتك؟!، وليس ذلك كله إلا أثرًا لحسن الظن ومبنيًّا عليه.

ثم قال السائل: وكم أكون مسرورًا جدًّا إذا عثرت لنا على نص صريح فى هذا النوع من الوسيلة.

وأقول: ذكرنا من الأدلة القطعية والنقلية الشىء الكثير، وقد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول، وقد قلنا: إن من يثبت الحياة والإدراك والعلم للأرواح، والقربة والمنزلة للصالحين، ثم يمنع التوسل والاستغاثة بهم متناقض غاية التناقض قاطع للملزوم عن لوازمه، وقد ذكرنا إجماع الأئمة على التوسل به ﷺ عند زيارته،

ولو لم يكن فى الموضوع إلا حديث عثمان بـن حنيـف لكان كافيًا شافيًا.

وعلى الجملة فقد أجمعت الـشرائع كلهـا، وفلاسـفة الأقدمون والفلاسفة العـصريون، أو نقـول: المـسلمون والأوربيون والأمريكيون والهندوس على إثبـات الحيـاة ولوازمها للأرواح، وعلى أن لها مـن الإطـلاق وسـعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها فى هذا العالم، وهـو عين ما قرره ابن القيم أحد أئمتهم فى كتـاب (الـروح). أسأل الله أن يزيل عنا حجاب المـادة وكثافـة الطبيعـة وظلمة الأشباح بمنه وكرمه.

التوسل (٥)

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الشيخ يوسف الدجوى.

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد؛

عرضت مسائل رأيت أنه لابد من استفتائكم فيها، وآمل إجابتى على صفحات الإسلام. أما المسائل فأولاها: هل فى الدين من وسيلة؟، وهل يضر طلب المعونة من نبى أو ولى على أنهما سببان عاديان كسائر الأسباب العادية المخلوقة لله عز وجل؟، وهل هناك من حاجة إلى الوسيلة؟، إلى آخر الأسئلة التى نرجو الإجابة عنها، ثم قال فى آخر خطابه: أرجو الإجابة بإطناب فإننى متشوق إلى تصحيح عقيدتى فى هذه المسائل ولكم منا الشكر ومن الله الأجر.

عبد الرحمن خليل موسى الشريف
طالب بمعهد أسيوط

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه وبعد:

فقد جاءنى هذا الخطاب منذ زمان وكنت نسيته، فلما عرض علىَّ مع أوراق أخرى على غير قصد رأيت أن أجيب عنه إجابة مختصرة، وأرجو أن يكون فيه مقنع

وكفاية فأقول وبالله التوفيق:

إن التوسل جائز وواقع بأوسع معنى الكلمة، ولا يجافيه عقل ولا نقل وليس ذلك إلا من قبيل الأسباب والمسببات، وقد جعل الله الناس على مراتب مختلفة لحكم سامية، وأسرار عالية، فمنهم الغنى والفقير، والقوى والضعيف، والعالم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والملوك والسوقة، إلى ما لا يحصى عد ولا يضبط حد.

ولابد أن يكون لصاحب المرتبة العليا ما ليس لصاحب المرتبة الدنيا (ولا فرق فى ذلك بين أمور الدين والدنيا)، فالتجاء الصغير إلى الكبير فى كل ذلك لا شىء فيه. بل هو مراد الحق من خلقه المتفاوتين فى الاستعداد والنعم والمواهب ولذلك خلقهم.

أما الشرك فهو أن تطلب من غير الله على إنه إله مع الله يعطى ويمنع بغير إذنه - ولا يتصور أن يكون ذلك من أحدٍ من المؤمنين -، فإن طلبت منه على أنه لا يفعل شيئًا إلى بإذن الله تعالى، ولا يتصرف إلا بإقداره إياه، معتقدًا أنه ما ملك إلا بتمليكه، ولا تصرف إلا بإرادته، لم يكن عليك بأس ولا فى ذلك حرج، بل هو الواقع الذى جبلت عليه الفطر، وجاءت به الشرائع والديانات، وقد أسند الله إحياء الموتى وهو أكبر شىء إلى سيدنا عيسى وكان عليه السلام يسنده إلى نفسه فيقول: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى

بِإِذْنِ اللهِ﴾ (آل عمران: ٤٩).

ولا شك أن من استغاث بالولى أو النبى لم يستغث به على أنه شريك لله أو يفعل بغير إذن الله.

حتى لو فرضنا أن ذلك لم يكن حاضرًا فى نفسه فهو كامن فيها بمقتضى قوله: (لا إله إلا الله) فهو بمنزلتك إذا رجوت وزيرًا أو أميرًا أن يفعل لك شيئًا غير مستحضر ما يقتضيه التوحيد من كون الله خالق كل شىء وإليه يرجع الأمر كله، وهذا الوزير أو الأمير لا يملك لنفسه – فضلاً عن غيره – نفعًا ولا ضرًّا.

فلا تجعل ذلك منك شركًا بوجه من الوجوه تعويلاً على الكامن فى نفسك من انفراده تعالى بالملك والملكوت فى الحقيقة، وأن الذى ترجوه إنما هو متصرف بتصريف الله تعالى وأن الله هو الذى ملكه ما يتصرف فيه.

ولحكمة ما جعل العباد مراتب محتاجًا بعضهم لبعض كما قلنا، فلماذا تجعل الطالب من الأنبياء والأولياء مشركًا، ولا تجعله مشركًا عندما يطلب من الوزير والأمير، بل من الفاجر والكافر؟ والمدرك فيهما واحد، فإن الله لا شريك له فى أمور الدنيا ولا فى أمور الآخرة، فإما أن تعتبر الظاهر وتجعله شركًا فيهما، وإما أن تعتبر الباطن وتجعل ذلك من باب الأسباب والمسببات التى هى نظام العالم، وسنة الله فى خلقه على ما شرحناه.

فإن كان لديك من صريح التوحيد ما يميت الأسباب من نظرك بالكلية ويجعلك تلتجئ إلى الله مباشرة بلا توسيط أحد كان لك ذلك (ولكنها مرتبة مخصوصة لقوم مخصوصين) وقد جاء الدين للناس جميعًا مراعيًا استعدادهم مكتفيًا بما تكنه ضمائرهم من التوحيد، بل عرفنا أن هناك مقربين وغير مقربين وهناك من تجاب دعوته وترجى شفاعته ومن ليس كذلك، ولهذا كان ﷺ الشفيع الأعظم فى الآخرة، وبعده الأنبياء والأولياء والعلماء كما جاء فى السنة الصحيحة.

ثم نقول بعد ذلك: إن المتوسل إلى الله بالنبى والولى معترف – بمقتضى توسله – أن المعطى والمانع إنما هو الله تعالى ولكن يقول: إن الولى أو النبى أقرب إلى الله منى، وله عند الله جاه وحرمة وذلك حق لا نزاع فيه (ولذلك يشفع النبى ﷺ للخلائق يوم القيامة وكذلك الأنبياء والأولياء والصالحون على ما شرحنا).

وفى إمكان روح الولى أن تدعو له وتطلب من الله قضاء حاجته.

والأرواح عند المسلمين باقية بعد الموت ولها أفعال وأقوال فى البرزخ، وطالما جاءت فى المنام فأرشدت المسترشدين وأغاثت الملهوفين مما لا يمكننا الخوض فيه الآن لسعة فجاجه، وتلاطم أمواجه.

وإن شئت فانظر ما كتبناه فى (حياة الأنبياء) بمجلة الأزهر ص١١٦ من الجزء الثانى من السنة الثالثة، ومن ذلك كلمة وجيزة بمجلة الإسلام ص١٤ من العدد ٤٢ من السنة السادسة.

ولا نزال نقول: ما الفرق بين الطلب من الأنبياء وغيرهم من أهل الدنيا، وهل هناك فرق بين أمور الدنيا وأمور الآخرة، وبين الأحياء والأموات عند المسلمين الذين يعتقدون بقاء الأرواح وعدم فنائها بمقتضى ما دلت عليه الأحاديث المتواترة فى عذاب القبر ونعيمه وفى حياة الأنبياء.

ويكفيك ما ورد فى حديث الإسراء والمعراج إن كنت لم تطلع على غيره فقد جاء فيه عن موسى وآدم وإبراهيم عليهم السلام ما فيه مقنع وكفاية، بل جاء فى كلام الفلاسفة الأقدمين من قبل الميلاد المسيحى ما يشفى ويكفى، وقبيح والله بالمؤمن أن ييأس كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

وإن شيئًا اعترف به الفلاسفة غير المسلمين ووصلوا إليه بعقولهم السليمة قبل إخبار الرسل به، قبيح على من تزيا بالإسلام وسمع ما جاءت به الرسل أن ينكر ما اعترف به غير المسلمين.

ولنسق لك بعد ذلك كله حديثًا صحيحًا هو نص فى

الموضوع إلا عند من سلب العقل أو حرم نعمة الإنصاف. أخرج النسائى فى سننه، والترمذى فى صحيحه، وابن ماجة، وغيرهم: أن أعمى أتى إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أصبت فى بصرى، فادع الله لى، فقال له النبى ﷺ: (توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إنى أستشفع بك فى رد بصرى اللهم شفع النبى فىَّ)، وقال: (فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك)، فرد الله بصره.

ولنقتصر اليوم على هذا ونؤخر الجواب عن بقية الأسئلة إلى فرصة أخرى نسأل الله التوفيق والرشد والمعونة بمنه وكرمه.

التوســـل (٦)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الإمام مفتى الأنام ومرجع العلماء الأعلام الـــشيخ يوسف الدجوى من جماعة كبار علماء الأزهر الـــشريف حفظه الله تعالى وأدامه آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فنظرًا لثقتنا بفضيلتكم ويقيننا بأنكم مرجـــع المـــسلمين جعلنا مولعين ببيانكم للأحكام الدينية وإفتـــائكم الوضـــاء للأمور الشرعية، فأرفع لفضيلتكم السؤال الآتـــى راجيًـــا التكرم بسرعة الإجابة عليه ولكم الشكر العظيم.

هل التوسل جائز أم غير جائز؟ وهل هـــذا الحـــديث الآتى صحيح يجوز العمل به أم لا؟ وهو **(توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم)**.

تفضلوا بالجواب لازلـــتم المنهـــل العـــذب والينبـــوع الفياض يُهتدى بهديكم ويُرجع إليكم.

عبد الحفيظ إبراهيم اللازقى

بيروت

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام علـــى رســـول الله وآلـــه وأصحابه، وبعد:

فقد جاءنا هذا السؤال من حضرة الفاضل صاحب التوقيع.

وقد كتبنا فى التوسل بعدة مجلات، أما اليوم فلا يمكننا أن نكتب فيه إلا كلمة موجزة للغاية فنقول: إن العقل والنقل متفقان على أن التوسل جائز ونافع، أما النقل فيكفى فيه الحديث الثابت عند المحدثين (حتى الشوكانى الذى هو من أئمة مانعى الوسيلة) وهو حديث عثمان بن حنيف الذى تشفع فيه ذلك الضرير بالنبى ﷺ ثم دخل عليهم قبل أن يتفرقوا وقد رُد إليه بصره.

ومانعو الوسيلة لا يخجلون ولا يتورعون من نسبة المسلمين كافة فى عصور الإسلام المختلفة إلى الشرك، ولو كان التوسل شركًا لكان عمر بن الخطاب عندما قال: اللهم إنا نتوسل إليك بالعباس.. مشركًا.

ولا أدرى كيف يتصور الإشراك والمتوسل معترف بأن الفاعل هو الله وإنما يتوسل إليه بحبيبه لمزيد قربه ورفعة منزلته، وهذا مما لا شك فيه، أو ليدعو له فإنه حىٌّ تعرض عليه أعمالنا ويستغفر لنا كما بينا ذلك أتم البيان فى بعض ما كتبناه.

والعجب أنهم يقيسون المتوسل على عابد الوثن، ويصرحون أن قبور الأنبياء والأولياء والصالحين أصنام وطواغيت يعبدها المتوسلون ويشركونها مع الله فى

العبادة.

وقد أفاض ابن القيم وهو من أئمتهم فى كتاب (الروح) فى عمل الأرواح حتى قال: (إن الروح الكبيرة كروح أبى بكر تهزم جيشًا بأسره)، وهل يعتقد أحد من المؤمنين أن مع الله إلهًا آخر، وكيف يكون ذلك مع إقراره بالوحدانية واعتقاده جازمًا أن الله واحد لا شريك له، وإذا كان يعتقد أن المتوسل به إنما يدعو له أو يشفع له كما يشفع لنا ﷺ يوم القيامة وكما يستغفر لنا الآن، ويرد علينا السلام - بل كما ترد الأموات كلها السلام -، فأى ضرر عليه فى ذلك.

بل نقول: لو فرضنا أنه يفعل لنا شيئًا بنفسه فإنما يريد أنه يفعله بإذن الله على سبيل التسبب بما أعطاه الله من المواهب التى ليست عندنا كما يفعل الحى ذلك بإذن الله على سبيل التسبب أيضًا.

ونحن نعتقد أن الحياة الروحية البرزخية أقوى من الحياة الروحية المادية، ولا فرق عندنا بين حياة مادية وحياة روحية وإلا فلماذا يلتجئون إلى المخلوقات فى أمورهم، فهل اعتقدوا أنهم آلهة مع الله يفعلون بغير إذنه، أليست أمور الدنيا والآخرة كلها لله وحده، أم معه آلهة أخرى فى الدنيا دون أمور الآخرة؟!!، فإن كان كل طالب من غير الله على أى وجه من الوجوه مشركًا فهم أول

المشركين، وإن كان لا يكون مشركًا إلا إذا اعتقد أنه يفعل بغير إذن الله فالجميع مؤمنون بأن هذه العقيدة المكفرة ليست عند أحد من المستغيثين بالإنجليز فضلاً عن المستغيثين بأحباب الله فليختاروا لأنفسهم ما شاءوا.

والخلاصة بأن هؤلاء القوم جاهلون مجازفون بتكفير المؤمنين والتكفير شىء عظيم لو كانوا يعلمون.

وقد أثبت الشوكانى التبرك بالآثار فى شرح نيل الأوطار، ولابن القيم وهما من أئمتهم فى ذلك العجب العجاب، ولكنهم ماديون بفطرتهم لا يُؤمنون بعمل الأرواح ولا حياتها على الرغم من التواتر فى ذلك كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

ولا ننكر أن بعضهم قد قرأ شيئًا من السنة وزاول بعض كتب العلم ولكنه كان كالمريض الذى يأكل ولا يهضم فكان الأكل ضررًا عليه أو سببًا لهلاكه، والعلم كالبحر فمن لا يحسن السباحة فلابد أن يغرق.

أما حديث (توسلوا بجاهى) المذكور فى السؤال فمتكلم فيه ولسنا فى حاجة لإثباته على أن حديث عثمان بن حنيف الذى أشرنا إليه يفيد هذا المعنى كل الإفادة، وفيه أمره ﷺ بأن يقول: (اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة) إلى آخره، فماذا بقى بعد تعليمه ﷺ وأمره بعد العمل بذلك فى حياته وبحضرته ﷺ.

ولا يفوتنا أن نقول: إن القرآن تارة يسند الأفعال إلى أسبابها والقائمين بها، وتارة يسندها إلى مسبب الأسباب الذي إليه يرجع الأمر كله ﷻ، فتارة يقول: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)، وتارة يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: ١١)، ويقول: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ (النحل: ٢٨) إلى غير ذلك مما لا يخفى عليك والله يتولى هدى الجميع بمنه وكرمه.

الفصل الثانى
تنزية اللّه عن المكان والجهة

تنزيه الله عن المكان والجهة (١)

ورد إلينا سؤال من الأستاذ محمود على المدرس بمدرسة المنتزه:

قال حضرته ما ملخصه: إن الله فى السماء يعنى جهة العلو، ويدل لذلك آيات كثيرة وأحاديث عديدة، ثم ساق من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ (الملك: ١٦)، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠)، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، (النحل: ٥٠)، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٨).. إلى غير ذلك.

ومن الأحاديث مثل قوله ﷺ: (إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له..) إلخ.

ونحن نقول له: ما كان ينبغى أن تذكر هذه الآيات المتشابهة (مجتمعة) وكذلك أحاديث الصفات، فإن هذا يلبس على الناس ويدع فى نفوسهم أثرًا سيئًا عندما تمتلئ من تلك الظواهر التى لم تذكر فى الكتاب والسنة إلا فى

مقامات معدودة، وربما احتف بها من القرائن ما يوجب صرفها عن ظاهرها، كما فى قوله ﷺ فيمن ذكر أنهم يكونون على يمين الرحمن، معرِّفًا إيانا أنه يجب تنزيهه عما يعطيه ظاهر لفظ اليمين فقال: (وكلتا يديه يمين).

ولا يكاد يذكر فى ذلك فى مقام واحد على نحو ما تفعلون قصدًا للتأثير فى الناس والتلبيس عليهم، خصوصًا من لا علم له بما ذكره أهل البيان من الاستعارات والمجازات والكنايات، ولا ارتاض بصناعة المنطق، ولا زاول العلوم العقلية، ولا تعمق فى براهين العقائد، ولا عرف ما قاله العلماء في ذلك، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧).

ولابد أن تكون قد عرفت أن السلف فى آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه، وأن الخلف يؤولون خوفًا من التشبيه، فكلهم متفقون على التنزيه، وإنما الفرق بينهما أن علماء الخلف يعينون المعنى المراد فيقولون مثلاً فى قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠): المراد باليد القدرة، والسلف يفوضون بعد التنزيه، فيقولون: إننا ننزهه تعالى عن الجارحة، ولا نعين شيئًا خاصًّا من المعانى المتشابهة كما يفعل علماء

الخلف[١].

أما أولئك المتفيهقون الذين يُعَيِّنُون ويشبهون فهم مجسمون مشبهون يبرأ منهم السلف والخلف جميعًا، فهم كراميون[٢] لا سلفيون ولا خلفيون.

وليت شعرى أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر: فيثبتون له تعالى يدًا بمقتضى قوله: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)، أم يدين بمقتضى قوله ﷺ: (كلتا يديه يمين)، أم أيديًا عديدة بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ ممَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (يس: ٧١)، أو عينًا بمقتضى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، أما أعينًا بمقتضى قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤)... إلى غير ذلك، وهو كثير جدًّا ألف فيه ابن الجوزى وغيره، أو يقولون: إن الله

---

(١) قال الوزير العالم العادل يحيى بن هبيرة: تفكرت فى أخبار الصفات فرأيت الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها مع قوة علمهم، فنظرت السبب فى سكوتهم فإذا هو قوة الهيبة للموصوف، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله، وقد قال ﷻ: ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ للهِ الأَمْثَالَ﴾ (النحل: ٧٤)، وقال الوزير أيضًا: تأويل الصفات أقرب إلى الحق من إثباتها على وجه التشبيه، فإن ذلك كفر وهذا بدعة.

(٢) أى: منسوبون لمحمد بن كرام، وهو من رؤساء المشبهة.

فى السماء بمقتضى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ (الملك: ١٦)، أم على العرش بمقتضى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، أم في الآفاق بمقتضى قوله: ﴿وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾ (البقرة: ١١٥)، أم فى أماكننا وأحيازنا بمقتضى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤)، أم يثبتون له أصابع بمقتضى قوله ﷺ: (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)، أم يثبتون له يمينًا فى الأرض من حجر بمقتضى قوله ﷺ: (الحجر الأسود يمين الله فى الأرض)!.

وبعد هذا فأى لون يثبتون له، وأى طول وأى عرض يصفونه به.. إلخ.. إلخ..؟!.

ويرحم الله الإمام الغزالى حيث يقول: من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالاً بعيدًا، ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلح دينه.

ولست أدرى كيف يخوضون فى هذا وهم لم يعرفوا حقيقة أرواحهم التى يحيون بها؟!، فكيف يعرضون للكلام فيمن ليس كمثله شىء: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) وقد أقام كل ذرة من ذرات الكون دليلاً على وجوده، حتى أصبحت معرفته بآثاره من أجلى الواضحات وأظهر الظاهرات، ولنقل ما قال فيلسوف الإسلام ابن

سينا فى بعض مؤلفاته:

الـــحـــمـــد لله بـــقـــــدر الله
لا قدر وسع العبد ذى التناهى

الحمـــد لله الـــذى مـــن أنكره
فإنمـــا أنكـــر مـــا تصـــوره

الحمـــد لله الـــذى بـــرهانـــه
أن ليـــس شأن ليس فى شأنه

أما معرفة حقيقته والوقوف على كنهه فهو مـــن أول المحالات، فإنه ليس بيننا وبينه مشاكلة ولا مناسبة، فكيف يمكن أن تحيط به العقول، وهى لا تحيط إلا بما شـــاركها فى نوع أو جنس أو فصل مما هو حادث مثلها! فهو بكل شىء محيط، ولا يحيطون به علمًا.

وإنما غاية ما نعلمه منه وجوده وتنزيهه عن صـــفات المحدثات، وقد علمنا فى أول ما علمنا تلك القضية العقلية مع برهانها الواضح فقلنا: تجب مخالفته تعالى للحـــوادث؛ لأنه لو ماثلها لكان حادثًا مثلها، لكن التالى باطل فبطـــل المقدم.

والإلهية يجب أن تكون أكبر من أن تخضع لـــسلطان عقل قاصر هو من صنعتها، وقد عجز عن إدراك نفسه، وعن حقيقة ما يقع تحت حسه، فيكفيـــه أن تدهـــشه تلـــك

الآيات الباهرات وما أبدعه فى الأرض والسموات، أما ما وراء ذلك فليس من علمه ولا يليق بمرتبتـــه ولا بمرتبـــة الإلهية.

قال الجاحظ فى بعض كتبه: إياك وأن تظن أن العلـــم بوجود الشىء يستلزم العلم بحقيقته، أو الجهـــل بحقيقتـــه يستلزم الجهل بوجوده، فإنه إذا ضربك أحد فى ليل مظلم علمت وجوده لا محالة وإن لم تعرف شخصه.

تـــاه الأنـــام بـــســـكرهـــم

فلذاك صاحى القوم عـــربد

تالله لا مـــوسى الكلـــيـــــ

ـــم ولا المسيح ولا محمـــد

كلا ولا جبـــريـــل وهـــــ

ـــو إلى محل القدس يصعد

علموا ولا النفس البسيـــــ

ـــطة لا ولا العقل المجرد

من كنه ذاتك غيـــر أنـــــ

ـــك أوحدى الذات سرمـــد

من أنت يا أرسطو ومـــن

أفلاط[1] قبلك قـد تفـرد؟!

مـا أنـتـمـو إلا الفـرَا

ش رأى السراج وقد تـوقد

فدنـا فـأحـرق نفـسـه

ولو اهتدى رشـدًا لأبعـد

وإنى لأعجب كل العجب والله ممـن يجعلـه علـى العرش، فأين كان قبل أن يحدث العرش، وهـل العـرش غير محتاج إلى من يحمله، أم هـو محتـاج إلـى مـن يحمله؟!، وكذا حامله أيضًا، حتى تصل إلى حامل غيـر محمول كما يقتضيه البرهان، وهل يقولون: إن الله محتاج إلى العرش، والعرش غير محتاج إليه، أم كلاهما محتاج لصاحبه، أم ماذا يقولون؟!، وهل العرش أكبر منه تعـالى أم مساو له، أم هو عَزَّوَجَلَّ يزيد عليه؟!.

وليت شعرى بعد ذلك من أى العناصر هـو، وكيـف تركيبه إلخ...

ومتى ثبت له بعض لوازم الجسم ثبت له جميعها، وقد

(١) هو أرسط طاليس واضع المنطق، وأفلاط هو أفلاطون أحـد فلاسـفة اليونان وهو أستاذ أرسطو، وقد تصرف الشاعر هـذا التـصرف لأنهمـا أعجميان، وهم لا يبالون بالأسماء الأعجمية كما قالوا: عجمى فالعب به.

بالغ الإمام الرازى فى الرد على القائلين بذلك، وله فيه كتاب سماه (أساس التقديس).

ولننقل لك شيئًا مما قاله علماء المسلمين فى التنزيه، ونبدأ بعبارة الرازى:

كلام العلماء في التنزيه:

(١) قال الفخر الرازى فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤): فى الاستواء عند الخلق تأويلات: أولها أنه كناية عن تمام الملك، كما يقال جلس فلان على عرش المملكة وإن لم يكن هناك عرش ولا جلوس، فيكون مثل قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿يَدُ اللّه مَغْلُولَةٌ﴾ (المائدة: ٦٤)، كناية عن البخل، ثم قال: إن ملكَ بلدًا صغيرًا لا يحسن أن يقال فيه: جلس على العرش، وإنما يحسن ذلك فيمن ملك البلاد الشاسعة والأقطار الواسعة.

ومما قاله: إن العرش يطلق على الملك، وعلى السرير الذى يجلس عليه الملك، ووزيره أمامه على الكرسى، فالعرش والكرسى فى العادة لا يكونان إلا عند عظمة المملكة، فلما كان ملك السموات والأرض فى غاية العظمة عبر بما ينبئ فى العرف عن العظمة، ثم قال: ونظير هذا إنك تقول للمقهور المغلوب: ضاقت به الأرض، أتظن أنهم يريدون به أنه صار لا مكان له؟

وكيف يتصور الجسم بلا مكان؟!، فكما يقال: الهارب لم يبق له مكان، مع أن المكان واجب له، يقال للقادر القاهر: هو متمكن وله عرش، وإن كان التنزه عن المكان واجبًا له، ومن التأويل: أن استوى بمعنى استولى، كما هو في كتب اللغة كديوان الأدب وغيره كقوله:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

كأنه قال: خالق السموات والأرض ثم ههنا ما هو أعظم منه ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فإنه أعظم من الكرسي، والكرسي وسع السموات والأرض.

إلى أن قال ما محصله: إنه لا يجوز أن نفهم من هذا الكلام إثبات المكان له تعالى، حتى ولو قيل إنه استقر على العرش، فإنه فهم التمكن عند استعمال كلمة الاستقرار مشروط بجواز التمكين، حتى إذا قال قائل: استقر زيد على الفلك أو على التخت يفهم منه التمكن وكونه في مكان، وإذا قال قائل: استقر الملك على فلان لا يفهم أن الملك في فلان، فقول القائل: الله استقر على العرش، لا ينبغي أن يفهم كونه في مكان ما لم يعلم أنه مما يجوز عليه أن يكون في مكان، فجواز كونه في مكان إن استفيد من هذه اللفظة يلزم تقدم الشيء على نفسه، وهو محال.

ثم قال: كيف يكون محتاجًا إلى العرش وهــو الغنــى عما سواه!، وكل ما هو فى مكان فهو فى بقائــه محتــاج إلى مكان؛ لأن بديهة العقل حاكمة بأن الحيز إن لم يكن لا يكون المتحيز باقيًا، فالمتحيز ينتفى عند انتفــاء الحيــز، وكل ما ينتفى عند انتفاء غيره فهــو محتــاج إليــه فــى استمراره، فــالقول باســتقراره يوجــب احتياجــه فــى استمراره، وهو غنى بالنص.

إلى أن قال: اعلم أن كلمة (على) تستعمل لكون حكمه على الغير، كما يقول القائل: لولا فلان على فلان لأشرف على الهلاك، وكذلك يقال: لولا فلان على أملاك فلان أو على أرضه ما حصل له شــىء، فكيــف لا تقــول فــى ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ إنه استوى عليه بحكمــه، كمــا نقول: هو معنا بعلمه! وكيف وهذا الذى يتمسك بــه هــذا القائل يدل على أنه ليس على العرش بمعنى كونــه فــى المكان! وذلك لأن كلمة (ثم للتراخى)، فلــو كــان عليــه بمعنى المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليــه، فقبله إما أن يكون فى مكان أو لا يكون، فإن كــان يلــزم محالان: أحدهما كون المكان أزليًّا، والثانى جواز الحركة والانتقال على الله تعالى، وهو يفضى إلى حدوث البارئ، أو يبطل دلائل حدوث الأجسام، وإن لم يكن فى مكان كان هناك محل آخر، وهو أن ما حصل فى مكان يحيل العقل

وجوده بلا مكان، وإذا كان كذلك فيلزمه القول بحدوث الله أو عدم القول بحدوث العالم، لأنه إن سلم أنه قبل المكـــان لم يكن، فهو القول بحدوث الله تعالى، وإن لم يسلم فيجوز أن يكون الجسم فى الأزل لم يكن فى مكان ثم حصل فى مكان، فلا يتم دليل حدوث العـــالم، فيلزمـــه أن لا يقـــول بحدوثه.

ألا يعلم ذلك الجاهل أنه جعله معدومًا حيـــث أحوجـــه إلى مكان؟، فإن كان محتاج إذا نظر إلى عدم ما يحتـــاج إليه معدوم، ولو كتبنا ما فيها لطال الكلام.

(٢) وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالـــى ﵁ فى حديث النزول المتقدم: ما أسهل على العـــالم إرشـــاد الجاهل! بأن يقول: إن كان المراد من النزول إلى ســـماء الدنيا أن يسمعنا فما أسمعنا، فلا فائدة فى النزول، فلابـــد أن يكون المراد بالنزول شيئًا آخر له محـــصل: كنـــزل الرحمة أو نحو ذلك.

(٣) وقال إمام الحرمين: إن الله خلق العرش من ذرة، وهو بالنسبة إلى قدرتـــه أقـــل مـــن ذرة، كيـــف يكـــون مستقره؟!.

(٤) وقال ذو النون المصرى ﵁ وقـــد سُـــئل عـــن التوحيد: التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشـــياء بلا مزاج، وصنيعه للأشياء بلا علاج، وعلة كـــل شـــىء

صنعه، ولا علة لصنعه، وليس فى السموات العــلا، ولا فى الأرضين السفلى، مدبر غير الله تعــالى، وكــل مــا تصور فى وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك.

(٥) وقال أبو الحسين النورى ﵁ وقــد سُــئل عــن القرب من الله تعالى فقال: أما القرب بالذات فتعالى الملك الحق عنه، وأنه متقدس عن الحدود والأقطــار والنهايــة والمدار، ما اتصل به مخلوق، جلت الصمدية عن قبــول الوصل والفصل، فهذا قرب محال، وقرب هو فى ذهنــه واجب، وهو قرب بالعلم والرؤية، وقرب هو جــائز فــى وصفه يخص به من يشاء من عباده، وهو قرب الرحمــة واللطف.

(٦) وقال يحيى الرازى ﵁ وقد قيل له: أخبرنا عــن الله تعالى فقال: إنه واحد، فقيل كيف هو؟، فقــال: ملــك قادر، فقيل: أين هو؟، فقال: بالمرصاد، فقال السائل: لــم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غيــر هــذا فهــو صــفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه.

(٧) وقال جعفر الــصادق ﵁: مــن زعــم أن الله سبحانه فى شىء، أو من شىء، أو علىٍ شىء، فقد أشرك بالله، إذ لو كان على شىء لكان محمولاً، ولو كــان فــىٍ شىء لكان محصورًا، ولو كان من شىء لكــان محــدثًا، تعالى الله عن ذلك.

(٨) وقال بعض العلماء لتلميذ له يمتحنه: لو قال لـــك أحد أين معبودك فأى شيء تقول له؟، قال: كنت أقـــول: حيث لم يزل، فقال: فإن قال: فأين كان فى الأزل؟، فـــأى شيء تقول؟، قال: أقول: حيث هو الآن ولا مكـــان فهـــو الآن على ما عليه كان، قال التلميذ: فارتضى الشيخ ذلك.

(٩) وقال السهروردى من كلام طويل: جل الله عمـــا يهجس به الوسواس، وعظم عما تكتنفه الحواس، وكبـــر عما يحكم به القياس، لا يصوره خيال، ولا يشاكله مثال، ولا يعتريه زوال، ولا يشوبه انتقال، لا يلحقه فكـــر، ولا يحصره ذكر، لا تحد أزليته بمتى، ولا تقيد أبديته بحتـــى، إن قلت أين فقد سبق المكان، وإن قلت متـــى فقـــد تقـــدم الأزمان، وإن قلت كيف فقد جـــاوز الأشـــياء والأمثـــال والأقران، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيـــان، وإن رمت البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان، عرفنا المكـــان بتعريفه إيانا، ولو شاء كوننا ولم نعرف زماناً ولا مكاناً، وكوننا فى المكان ولو شاء كوننا ولا مكان، فعوالم قدرته غير محصورة، وغرائب مشيئته غير منكورة، وما نحـــن فيه من العالم بما نحن فيه من العقل والعلـــم عـــالم مـــن عوالمه، ولا يستبعد قولى: ولو شاء كوننا فى غير مكان، فقد كون المكان فى لا مكان، إذ لـــو كـــان فـــى مكـــان لتسلسل، فمن يكون المكان والمكون فيه، والزمان والمقدر

فيه، عالمًا من عوالمه، ويسيرًا من مبدعات قدرته؟، كيف يحصره الزمان والمكان؟!، فما أحقرك وأحقــر علمـــك!، فلو فتحت عين بصيرتك، استحييت من قياسك، وفكــرك، ووهمك، وخيالك، أيها المحــدود المحــصور!، لا ينـــتج فكرك إلا محدودًا محصورًا، وأيها المحيط به الجهات! لا يحكم علمك إلا على الجهات!، فالجهات من جملة العالم، وقد علمت نـــسبته إلـــى عظمـــة الله، فتبـــارك الله رب العالمين.

والخلاصة: أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى، ولا نقطع بتعيين تأويل منها، بل نكل ذلك إلى العليم الخبير، ولكن لابد من التنزيه على كل حال.

تنزيه الله عن المكان والجهة (٢)

كتبنا تحت هذا العنوان كلمة فى تنزيه الله تعالى عن الجهة فيما سبق جوابًا عن سؤال ورد إلينا، فجاءنا خطاب مطول من الأستاذ الشيخ عبد الغفار على المسلاوى أحد العلماء ببنها، يبين فيه مذهب السلف والخلف ويبرأ فيه من التجسيم والتشبيه، كأننا رميناه بذلك، أو كأن الكلمة كانت موجهة إليه، وقد اجتهد ما استطاع فى تبرئة السلف من التشبيه ولم يعلم أنه جهاد فى غير عدو، ولو التفت قليلاً لما كتبناه لأراح نفسه من ذلك العناء، وأراحنا من العودة إلى الموضوع مرة ثانية.

ولنسق لك عيون ما كتبه، ونعلق عليها بما يعن لنا من الملاحظات:

قال حضرته: إن مذهب السلف رضي الله عنهم التصديق بآيات الصفات وما صح من أحاديثها، وإمرارها على ظاهرها مع نفى التشبيه والتكييف عنها، فلا يجوز صرفها عن ظاهرها؛ لأن فيه تعطيلاً لما جاء فى الكتاب والسنة من صفاته تعالى، وكذلك لا يجوز تكييفها وتشبيهها بصفات المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، وقوله: ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لله الأَمْثَالَ﴾ (النحل: ٧٤)، فضلاً عن دلالة العقل وإجماع الأمة على مخالفته تعالى للحوادث.

فكل ما وصف الله تعالى به نفسه من الوجه والعين واليدين والاستواء على العرش، أو وصفه به رسول ﷺ كنزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة، فهو عندهم حق على حقيقته التى تليق به تعالى من غير تشبيه ولا تكييف فقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ الصحيح عندهم ما نقله الإمام البخارى فى صحيحه وغيره عن مجاهد من أن معناه: علا أى علوًّا، بلا تمكن على العرش لا نعقل كيفيته، كما قال مالك الإمام وقد سُئل عن كيفية استوائه على العرش: [الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة]، فهو سبحانه فوق سماواته على عرشه، وإنما هو تعالى عال على خلقه بائن منهم بلا حد ولا صفة، فقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (الملك: ١٦)، يعنى نفسه، لا يريد - تعالى وتقدس - أن السماء ظرف له، وإنما معناه أنه فوقها على العرش بلا تمكن ولا تكييف.

كما أجمعوا على أن له تعالى يدين وعينين ووجهًا بلا تكييف ولا تشبيه، إلى آخر ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

إلى أن قال: وحديث (لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لسقط على الله) قال مخرجه الحافظ أبو عيسى الترمذى فى جامعه لما أخرجه: قال أهل العلم أراد لهبط

على علم الله، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه، انتهى بلفظه.

إلى أن قال: وقال أبو عيسى الترمذى أيضًا إثر ما روى حديث أبى هريرة: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها): روت عائشة عن النبى ﷺ نحوه، وقد قال غير واحد من أهل العلم فى هذا وما يشبهه من الصفات، كنزول الرب: نثبت هذه الروايات فى هذا ونؤمن به، إلى أن قال: ولم يثبت عنه ﷺ ولا عن أصحابه حرف واحد يفيد صرف هذه الآيات والأحاديث عن ظاهرها، نعم التشبيه غير مراد منها قطعًا، إلى آخر ما قال.

ونحن نقول له: أولاً: إن ما كتبناه كان جوابًا عن سؤال يقول سائله: إن المراد من قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ جهة العلو، فأثبت الجهة لله تعالى بصريح العبارة.

وكثير ممن يطالع كتب ابن القيم وابن تيمية لا يكاد يخلص من تلك العقيدة، فإنه بكثرة ما يوردونه من التلبيسات والتشكيكات وما يموهون من ذكر الآيات تسرى فيه تلك العقيدة من حيث لا يشعر، ولو فتش عن قلبه تفتيش المتهم لنفسه لوجدها راسخة فيه.

غير أنه ضويق بما يلزم ذلك من الحدوث لجأ إلى

كلمات لا محصل لها، أو هى متناقضة، ثم اقتنع بذلك واطمأن إليه.

على أننا نقول لحضرة المدافع عن السلف – قبل مناقشته فى بعض كلماته: ما الذى هاج أعصابك علينا؟، وهلا أعدت النظر فيما كتبناه حتى تعرف ما نسبناه إلى السلف الذين تدافع عنهم، وما نسبناه إلى الخلف الذين توهمت أنهم المعتزلة أو الجهمية، مع أن ذلك مبين فى كتب التوحيد أتم البيان؟، وقد قال فى الجوهرة مشيرًا إلى المذهبين، وهى من أصغر كتب التوحيد، وصاحبها أشعرى صميم:

وكل نص أوهم التشبيها

أوِّله أو فوِّض ورُم تنزيها

ولنذكر لك ما قلناه فى مقالنا المشار إليه علك تنظر فيه بإنصاف وإمعان، حتى تعرف أنه لا خلاف بيننا وبينك، وأنا كنا نرد على السائل الذى أثبت الجهة لله، لا عليك ولا على السلف، وهاك نص ما قلناه سابقًا:

(ولابد أن تكون قد عرفت أن السلف فى آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه، وأن الخلف يؤولون خوفًا من التشبيه، فكلهم متفقون على التنزيه، وإنما الفرق بينهما أن علماء الخلف يعينون المعنى المراد فيقولون مثلاً فى قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(الفتح: ١٠): المراد باليد القدرة، والسلف يفوضون بعد التنزيه، فيقولون: إننا ننزهه تعالى عن الجارحة، ولا نعين شيئًا خاصًّا من المعانى المتشابهة كما يفعل علماء الخلف) [فهل ترى فى ذلك نسبة التشبيه إلى السلف حتى تثور ثائرتك؟].

ثم نقول لك: ما معنى قولك: إن كل ما وصف الله به نفسه من الوجه، والعين، واليدين، والاستواء على العرش، أو وصفه به رسوله ﷺ كنزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة فهو عندهم حق على حقيقته التى تليق به تعالى من غير تشبيه ولا تكييف؟ نريد منكم أن تفهمونا معنى تلك الكلمات التى تسبق إليها ألسنتكم من حيث تشعرون أو لا تشعرون، فما معنى كون النزول حقًّا وعلى حقيقته؟ وهل هناك حقيقة للنزول غير الهبوط من أعلى إلى أسفل؟، لا تعرف العرب حقيقة النزول غير هذا، وإن جاز استعماله فى غيره على طريق المجاز.

وكذلك اليد: لا معنى لها على سبيل الحقيقة عندهم إلا الجارحة المخصوصة وإن جاز استعمالها فى غيرها على سبيل المجاز، وكذا العين وغيرها.

فما معنى كونها عندكم على سبيل الحقيقة؟ وهل عرفتم لها معنى فى حق الله حتى تحكموا بأنها حقيقة فيه؟.

فإن بينتم لها معنى تنزيهيًّا لا تشبيه فيه وافقتم الخلــف فى هذا وكانت حينئذ على سبيل المجاز لا علــى ســبيل الحقيقة.

وما معنى قولكم بعد ذلك: بلا تشبيه ولا تكييف؟ وهل هو إلا قول متهافت لا معنى له بعد أن قررتم أنها ثابتة له على سبيل الحقيقة؟، ثم نقول: إنك أثبت له فــى خطابــك يدين وعينين، فلماذا لم تثبت له أعيناً لا عينين فقط، مــع أنه يقول: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤)؟، ولمــاذا لــم تثبت له أيديًا لا يدين فقط، فإنه يقول: ﴿خَلَقْنَا لَهُــمْ مِمَّــا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (يس: ٧١)؟.

ثم تقول فى قوله تعالى: ﴿الــرَّحْمَنُ عَلَــى الْعَــرْشِ اسْتَوَى﴾ الصحيح عندهم ما نقله الإمــام البخــارى فــى صحيحه وغيره عن مجاهد من أن معناه: علا أى علــوًّا، بلا تمكن على العرش لا نعقل كيفيته، كمــا قــال مالــك الإمام وقد سُئل عن كيفية استوائه على العرش: [الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجــب، والــسؤال عنه بدعة]، فهو سبحانه فوق سماواته على عرشه بــائن من خلقه.

ونحن نسألك عما فهمته من كلام مجاهد هــذا: هــل فهمت العلو الحسى كما ينبئُ عنه قولك الذى تكرره إنــه فوق عرشه؟، وإذاً تكون قد أثبت الجهة والحيز لا محالة،

وإذا ثبتت له الجهة ثبتت له الجسمية، ومتـــى ثبتـــت لـــه الجسمية، ثبتت له لوازمها، وإن أردت العلـــو المعنـــوى وافقتنا ولم تأت بشىء جديد. ولكن قلت: إنك لا تعقل ذلك العلو، والعلو المعنوى معقول!، فما الذى فهمته وما الذى أثبته؟، وهل هناك شـــىء وراء العلـــو الحـــسى والعلـــو المعنوى، أم هو كلام كالورد يشم ولا يدعك؟.

ولماذا لم تقل: إنه فى السماء بلا تمكن، كما قلت: إنه فوق العرش بلا تمكن؟ وهل هناك فرق بين الآيتين؟ وإذا قلتم بفوقية بلا تمكن، ولا كيف وهى على حقيقتها، فلماذا لا تقولون: بظرفية بلا تمكن ولا كيف متى كان الغـــرض التشبث بكلمات من هذا القبيل تعقل أو لا تعقل، ثم كنـــتم تقولون: إن الظرفية بلا كيف لا تنافى الفوقية بلا كيف؟.

ثم نقول لك بعد ذلك: ماذا فهمت عبارة مالك فى قوله: الاستواء معلوم؟ هل ظننت أن مالكًـــا يثبـــت الاســـتواء المعلوم؟ [إذًا يكون مشبهًا ومجسمًا]؛ لأن الاستواء المعلوم هو الاستقرار المستلزم للجسمية ولوازمهـــا، فـــإن كـــان الاستواء بغير هذا المعنى فهو غير معلوم، فيجـــب إذًا أن يكون مراد مالك أنه معلوم الثبوت والورود، فإنه نطق به القرآن، لا معلوم الحقيقة والمعنى.

على أن بعض المحققين يطعن فى ثبوت الرواية عـــن مالك، وهو الذى أقول به ولا أكاد أعتقد غيره، فإن جعله

الاستواء معلومًا – على ما يفهم منـــه – اعتـــراف بـــأن المجهول هو الكيف فقط، وقد يستوى الملك على عرشــــه بكيفيات كثيرة، فجهل الكيفية لا يكفى فى التنزيه، بل يثبت التشبيه، فإن الكيفية حاصلة على كل حـــال غيـــر أنهـــا مجهولة، والاستواء الحقيقى لا يعقل بدون كيفية وإن لـــم تكن معلومة لنا، ولكن لابد له من كيفية فى الواقع.

هذا، وقد رأيت رِواية أخرى فى هذه الواقعة عن عبد الله بن وهب أن مالكًا سُئل عن الاستواء فأطرق وأخذتـــه الرحضاء[1] ثم قال: الرحمن على العرش اســـتوى كمـــا وصف نفسه، ولا يقال له كيف، كيف عنه مرفوع، إلـــى آخر ما قال.

ومما يلبسون به على الناس أو على أنفسهم قولهم: إن ذلك كله حق على حقيقته.

فإن كلمة (حق) ها هنا تقع فى النفوس موقع الإيمـــان والقبول، ومن ذا الذى يستطيع أن يقول: إن ما ورد فـــى الآيات غير حق؟ ولكننا نستفسر منهم عمـــا أرادوا بتلـــك الكلمة: فإن كان قصدهم أن هذه النصوص لا يمكن ردها فإنها نصوص قرآنية أو سنة صحيحة، فهو حق، ولكـــن ليس محل النزاع، وإن أرادوا أن معناه الذى يعرفه الناس

---

(١) هو العرق الكثير الذى يغسل الجلد لكثرته.

حق، فذلك باطل، ولكنها عادتهم يأتون بـــالكلام الموجـــه وبالكلمات المحتملة.

وليت شعرى، أى شىء أثبتوا لله تعالى إذا كانت اليـــد فى حقه ليست على ما نعرف، والاستواء والنزول بالنسبة إليه على غير ما نعهد، فما الذى أثبتوه له؟ وهـــل يمكـــن التصديق بثبوت شىء لا تفهمه ولا تعقل له معنى؟! كيف وتصور المحمول والموضوع شرط فى التصديق أو شطر منه، كما هو معروف فى المنطق؟، وهل بيننـــا وبيـــنهم خلاف إذا كانوا سلفيين حقًّا كما يقولون؟، فإن الاســـتواء عندهم وصف كمالى تنزيهى لله تعالى ، فما الذى أثبتـــوه زائدًا على ذلك؟!.

ونحن نقرر دائمًا أن كمـــالات الله لا تتنـــاهى، وفـــى الحديث: (أسألك بكل اسم هو لك ســـميت بـــه نفـــسك أو أنزلته فى كتابه أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت بـــه فى علم الغيب عندك)، غاية الأمر أن الخلـــف يؤولـــون خوفًا من وقوع القاصرين فـــى التـــشبيه، فمـــا أرادوا إلا النصح لله وكتابه ورسوله والمسلمين.

على أنى أختار مذهب السلف وأدين به، وقد قلت فيما سبق ما نصه:

(**والخلاصة:** أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى، ولا نقطع بتعيين

تأويل منها، بل نكل ذلك إلى العليم الخبير، ولكن لابد من التنزيه على كل حال.

أما قول الكاتب: إنه تعالى عال على خلقه بائن منهم بلا حد ولا صفة، فهو من قبيل ما سبقه، ولست أدرى أيقصد به العلو المعنوى الذى لا يخالف فيه أحد، أم العلو الحسى الذى يستلزم الجهة، أم هو شىء لا نعرفه نحن ولا أنتم؟).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ (الملك: ١٦، يعنى نفسه: لا يريد – تعالى وتقدس – أن السماء ظرف له، وإنما معناه أنه فوقها على العرش بلا تمكن ولا تكييف، وهل يظن الكاتب أنه بين معناها بقوله: إنه فوق سمائه على عرشه، مادامت الفوقية غير معروفة؟.

ثم نقل صاحب الخطاب بعد ذلك عن الترمذى أنه قال فى حديث (لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله) قال الترمذى فى بيان المراد منه: [لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه]، ولا أردى لماذا نقلها وقد كان مقتضى مذهبهم ألا يؤولوا هذا التأويل، ؛ لأنهم يبقون النصوص على ظواهرها ويؤمنون بها على حقيقتها!، ولعله نقلها لقوله فيها: وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه.

وليت شعرى لماذا لم يقولوا: إن الهبوط على حقيقته ولكن بلا تشبيه ولا تكييف؟.

ثم قال: قال أبو عيسى الترمذى أيضًا إثر ما روى حديث أبى هريرة: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها): روت عائشة عن النبى ﷺ نحوه، وقد قال غير واحد من أهل العلم فى هذا أو ما يشبهه من الصفات كنزول الرب: نثبت هذه الروايات فى هذا ونؤمن به. ونحن أيضًا نثبتها ونؤمن بها، ولكن النزاع ليس فى ثبوتها والإيمان بها، ومن ذا الذى لا يؤمن بما ورد عن رسول الله؟!، ولكننا ممن يجوز إجراء المجازات والكنايات فى أمثال هذه المقامات من غير جزم ولا تحتيم على ما شرحنا.

ثم قال الكاتب: لم يرد عنه ﷺ ولا عن أصحابه حرف واحد يفيد صرف هذه الآيات والأحاديث عن ظاهرها، نعم التشبيه غير مراد منها قطعًا.

ونحن نقول أيضًا: لم يرد عنه ﷺ ولا عن أصحابه حرف يفيد أنها باقية على حقيقتها كما يقولون، بل ترك ذلك للعقول وتصرفاتها، وللنصوص المنزهة الكثيرة، فضلاً عن البراهين العقلية، ولما تعرفه العرب من مجازاتها وكناياتها، ولا أرى قولكم: إن الاستواء على العرش مثلاً باق على حقيقته مع التنزيه وعدم التشبيه إلا

متناقضًا، فكأنكم قلتم إنه مستقر على عرشه، غير مستقر على عرشه وهل هذا إلا التناقض الصريح؟!، والـــذى لا يفهم للاستواء معنى محصلاً، لا ينبغى له أن يكثـــر مـــن ذكر الفوقية والاستواء والعلو، وإلا فليصارحنا بما يعتقد، ولا يقل إنه سلفى، فإن السلفى لا يقول بمعنى معين فـــى آيات الصفات، وإنما يفسرها كمـــا وردت، ولا يتعـــرض لتخيل معناها، ولا إطالة القول فيه.

ثم قال الكاتب فى آخر كلامه: لسنا بحمد الله مجـــسمة ولا حلولية.

وإنى أحمد الله على ذلك، وما رميت الكاتب بالتجـــسيم ولا كان كلامى معه، ولا مع السلف الذين ينتمى إلـــيهم، ولكن كنت أكتب لمن يثبت لله جهة، أو يقول وقد نزل من على المنبر: [إن الله ينزل من عرشه إلى ســـماء الـــدنيا كنزولى].

هذا، وكلامنا اليوم أيضًا هو مع هذه الطائفـــة لا مـــع الكاتب، وإن كان هو المثير غبارها، فإنى أسلم ما يقـــرره من عقيدته وأوافقه عليه، وما أريد بكل ما أكتب إلا نصح للمسلمين، والتحذير من نزعات الضالين الجاهلين.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

تنزيه الله عن المكان والجهة (٣)

جاءنا خطاب من حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد خراشى قال فيه:

كنت بمركز ملوى فاتصل بى أن بعض المتزيين بزى أهل العلم من المرتزقة الذين يجوبون البلاد يشنع على علماء الأزهر ويذكرهم بكل سوء، وهو ينادى بإثبات الجهة الحسية لله جل عن ذلك، ويقول: إن الله يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست جهة الفوق فقط، فنرجو من فضيلتكم الإفاضة فى هذا الموضوع على صفحات مجلة (الأزهر)، حرصًا على العقائد، ودفعًا لسموم تلك الطائفة التى ليس لهم هم إلا إثارة الشعب، وتشويش الأفكار.

الجواب:

كان يجب ألا نقيم لتلك الطائفة وزنًا، ولكننا مضطرون لتفنيد آرائهم الزائفة وأقوالهم الباطلة، لنحفظ عقائد العامة وأشباه العامة، الذين يتبعون كل ناعق ويتأثرون بكل ما يسمعون، خصوصًا عندما يتلون عليهم الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة التى وردت فى هذا الموضوع، وذكر تلك الآيات والأحاديث مجتمعة بدون تعقيب عليها يؤثر فى نفوس العامة أثرًا لا يكاد يمحى،

وقد شنع الغزالى على من يفعل ذلك غاية التشنيع فى كتابه: (إلجام العوام عن علم الكلام).

وإنا نختصر الطريق معهم فنقول على الإنصاف والوضوح: إن كانوا يأخذون آيات المتشابهات وأحاديث الصفات على ظاهرها ويثبتون معانيها التى وضعت لها فى لغة العرب، فذلك كفر صراح، لأنه يستلزم الجسمية والتجزء والتركيب، ولا يعقل غير هذا، فإن الظرفية مثلاً إذا أُخذت بمعناها الحقيقى فى مثل قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾ (الملك: ١٦) تستلزم أن يكون له مكان محيط به هو أكبر منه بالضرورة، وذلك يستلزم صفات الحوادث لا محالة، وقل مثل ذلك فى الاستواء واليد والوجه... إلخ..

وإن قالوا: إن ذلك ليس كاستقرارنا ولا ظرفيتنا... إلخ.. فليس له لوازم الظرفية ولا الاستواء المعروفين، قلنا لهم: فما الذى فهمتموه من تلك الظرفية إذا كنتم تجردونها عن معناها ولوازمها؟، وما هو المعنى الحقيقى الذى تقولون إنه مراد من الاستواء مثلاً؟ وبعد تسليم هذا فأنتم موافقون لنا، وأصبح قولكم إن آيات المتشابه على حقيقتها لغوًا من القول، فإنه لا فرق بيننا وبينكم فى المعنى حينئذ، فما هذه الطنطنة التى أصمت الآذان وهوشت الأذهان [أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا!].

قال بعض أئمتكم المتقدمين على ما به من علم وفلسفة ما معناه: [إن القول بأن الله لا جهة له وأنه ليس فوقًا ولا تحتًا إلخ.. قول بأن الله غير موجود فإن هذه صفات المعدوم لا الموجود].. وغاب منه أن هذا قياس الغائب على الشاهد، وإلحاق المنزه بالمادى والخالق بالمخلوق، فإن المادى هو الذى لابد أن يتصف بشىء من تلك الصفات، أما غير المادى فترتفع عنه هذه الصفات كلها، بل كونه غير مادى مانع من قبوله لها. وإذا كنا لا نعرف حقيقة الذات، ويستحيل أن نعرفها، فكيف نتكلم فى حقائق الصفات أو نقيسها على ما عرفنا من أحوال المحسوسات وأحكام الماديات؟. وكيف نجرؤ على أن نقول: إن النزول على حقيقته وأنه استوى على عرشه بذاته حقيقة كما تقولون؟!.

ولنقرب ذلك بعض التقريب فنقول: إن الإنسان مثلاً لا يتصور فيه إلا أن يكون جاهلاً أو عالمًا، ولا يتصور ارتفاع الجهل والعلم عنه. ولكن الحجر لا يتصف بكونه عالمًا ولا جاهلاً فهما منتفيان عنه بل ممتنعان عليه لعدم القابلية، وكيف يثبتون الجهة والاستواء ثم ينفون ما يلزمهما؟، وهل هناك عاقل يقول بثبوت الملزوم حقيقة مع نفى اللازم؟.

وليت شعرى بعد ذلك كله ما هذه الحقيقة التى

أثبتوها؟، فإن كانوا لا يدرون منها شيئًا فماذا أثبتوا؟، وهل هناك حقائق للأشياء عندنا غير ما وضعت له ألفاظها فى اللغة العربية مما عرفناه وحكمنا بأنها إذا استعملت فى غيره كان مجازًا يحتاج إلى علاقة وقرينة؟، فهذه هى الحقيقة فيٍ عرف العلماء، ولكن هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا.

على أنهم لو كانوا مستندين إلى ظواهر النصوص ولم يكونوا على هذا الاستعداد الغريب ما كان ينبغى أن يجمدوا علي أن الله فوق عرشه حقيقة، فإنه كما يقول مثلاً: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (الملك: ٦)، يقول: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٣)، إلى غير ذلك وهو كثير، والبرهان العقلى قائم على فساد ما يقولون ونقيض ما يعتقدون.

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

ثم نقول لهم بعد ذلك- ولعلها من الفكاهات العلمية -: كيف تقولون: إن نزوله تعالى كل ليلة كما ورد فى الحديث على حقيقته، الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب – يعلم ذلك من بحث عنه –، فإذا كان ينزل لأهل كل أفق من الآفاق فى ليلهم بمقتضى ما ورد فى الحديث فمتى يستوى على عرشه، والأرض فى كل وقت من الأوقات بها ليل كما هو معروف، ولا تخلو

ساعة من الساعات من ذلك، فما هو الوقت الذى يكون مستويًا فيه على عرشه بذاته حقيقة كما تقولون؟.

وليت شعرى بعد ذلك كله ما الحامل لهم على إثارة تلك الموضوعات بين العامة وإلقاء الشكوك فى عقائدهم وأصول دينهم، ولعلهم لا يعرفون من ذلك إلا ما ألفوه فيما بينهم، ولكن أحمق الناس من أعطى قلبًا منطبقًا، ولسانًا منفقهًا، فإن أراد أن يسكت لم يستطع السكوت، وإن أراد أن يتكلم لم يحسن الكلام.

وإن هؤلاء وحقك لا يستحقون المناظرة، وكيف يناظر من يتناقض ولا يدرى، أو من لا يفرق بين الجائزات والمستحيلات!، ولقد رأيتهم ينقلون ما لا يفهمون، وكثيرًا ما أغنونا بذلك عن المراجعة. ولكن لا نزال نكرر أننا نخاف على العامة الذين ابتلوا بهم واعتقدوا فيهم. والأمر والله واضح لمن نور الله بصيرته وأراد هدايته ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧).

ومن عجيب أمر هؤلاء قولهم: إن هذا هو مذهب السلف، فإن السلف منزهون، لا مشبهون، وهل قال السلف: إن الاستواء على حقيقته، والنزول على حقيقته، أو أنه استوى بذاته كما قالوا ذلك؟ اللهم لا، وحاشاهم أن يقولوا ذلك!.

وقد قال العلماء: إنه لا خلاف فى وجوب التأويل عند تعين شبهة لا ترتفع إلا به، وقال كثيـــر مـــن العلمـــاء – وسننقل نصوصهم بعد –: إن السلف والخلف متفقون على التأويل. وهذا غير ما اشتهر من أن السلف لا يؤولون.

والتحقيق فى ذلك أننـــا إذا أردنـــا بالتأويـــل صـــرف المتشابه عن الظاهر، فالسلف والخلف متفقون عليه بهـــذا المعنى، وإن قلنا: إن التأويل تعيين المعنى المراد الـــذى هو غير ما وضع له اللفظ من مجاز أو كناية، كان السلف غير مؤولين بهذا المعنى.

أما أخذ الآيات والأحاديث على ظاهرها والقول بأنهـــا باقية على حقيقتها فلا ينبغى أن يكون قـــولاً لأحـــد مـــن المسلمين، وإنما هو قول بعض الملل والمـــشبهة، وهـــل حقائق اليد والعين والنزول والاستواء شـــىء غيـــر مـــا نعرفه فى الماديات ونعهده فى المحسوسات؟، فما معنـــى بقائها على ظاهرها وإرادة حقائقها كما يقولون؟، اللهم إن ذلك مجاف للعقل والمنطق قبل أن يكون مجافيًـــا للـــدين الذى جاءت به الرسل!.

ولكن ما الحيلة وقد ابتلينا بقوم لا يفقهون ولا يسكتون، وينقلون من النصوص ما يرد عليهم ولا يشعرون!.

الخلاصة:

والخلاصة المختصرة المتواضعة أننا نقول لهـــم: إن

كنتم قائلين بالتنزيه فنحن معكم، فإنا لا نريد من كل ما نكتب إلا إثبات التنزيه. وإن قلتم: إنها صفات للبارى ﷻ ولم تقولوا إنها باقية على حقيقتها وهى راجعة إلى كمال الله تعالى، فنحن قائلون بأعلى صوت: إن كل كمال يجب لله تعالى وإن كمالاته لا تتناهى. وقد جاء فى الحديث الصحيح: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك).

ثم نقول لكم بعد هذا: إن إثبات هذه الأشياء على ظواهرها ليس من الكمال فى شىء، وإنما هو النقص بعينه والمحال بذاته، فإن كنتم لا تعقلون إلا الاستواء الحسى والنزول الحسى كما يدل على ذلك قولكم: إن المراد من الاستواء حقيقته – ولا حقيقة له عندنا إلا الحسى المادى – فصرحوا بما انطوت عليه قلوبكم ليعرفكم الناس، وأريحونا من هذه المداورة التى يناقض آخرها أولها وظاهرها باطنها.

أظن أن القارئ الكريم قد تبين له غاية البيان أنهم إذا نفوا عنه تعالى صفات المحدثات وأحكام الماديات فنحن معهم، ولكن ليعلموا أنهم لم يعرفوا لها بعد ذلك معنى، فلينتهوا عن قولهم: إنه فوق عرشه بذاته حقيقة وإن له جهة الفوق... إلخ، وإلا كانوا متخبطين متناقضين.

ولو أنصفوا لتركوا الآيات والأخبار على ما جـــاءت من غير أن يقولوا فيها شيئًا أو يزيدوا عليها كلمـــة، ثـــم يكلون علم ذلك إلى الله تعالى كما فعل الـــسلف، وحينئـــذ يصح قولهم إنهم سلفيون وإن هذا هو مذهب السلف، أمـــا أن يقولوا: إنه استوى على عرشه بذاته حقيقة ويـــشنعوا على من لا يقول بذلك، كما فعل ابن القيم فـــى (نونيتـــه) وابن تيمية فى كثير من كتبه، وكما يصرحون به الآن فى كتاباتهم ودروسهم، فغير مقبول ولا معقول.

ولنسق لك بعض النصوص استئناسًا واستروِاحًا: قال اللقانى: أجمع الخلف – ويعبر عنهم بالمؤولـــة، والـــسلف ويعبر عنهم بالمفوضة – على تنزيهه تعالى عن المعنـــى المحال الذى دل عليه الظاهر، وعلى تأويله وإخراجه عن ظاهرة المحال، وعلى الإيمان بأنه من عند الله تعالى جاء به رسول الله ﷺ، وإنما اختلفوا فى تعيين محمـــل لـــه وعدم تعيينه بناءً على أن الوقـــف علـــى قولـــه تعـــالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧)، أو على قولـــه ســـبحانه: ﴿إِلاَّ اللهُ﴾ (آل عمـــران: ٧). ويقـــال لتأويـــل السلف: إجمالى، ولتأويل الخلف: تفصيلى، وقال بعضهم: إن ما عليه القائلون بالظواهر مع نفى اللوازم هو تأويـــل أيضًا لما فيه من القول بعدم اللـــوازم، مـــع أن ظـــواهر الألفاظ أنفسها تقتضيها، ففيه إخراج اللفظ عمـــا يقتـــضيه

الظاهر، وإخراج اللفظ عن ذلك لدليل هو عين التأويل.

الكلمة الختامية

والكلمة الختامية أن من أثبت ما ورد في آيات الصفات وأحاديث الصفات ما ترك من التشبيه شيئًا، وربما عرفت بعض ذلك من مقالنا هذا.

ومن التناقض البين الذى حملهم عليه خوف العامة قولهم: إنها على حقيقتها وليست على ما نعرف، فكأنهم يقولون: إن النزول ليس نزولاً، والاستواء ليس استواءً، والضحك ليس ضحكًا، وهو بعد باق على حقيقته – فكأنهم أطفال أو يكلمون أطفال! – ولكنك ستسمع منهم كلامًا مختلطًا يرضون به العوام، وكم لهم من تلاعب وتناقض.

وليت شعرى أى فرق بينهم وبين أصحاب الملل فى الاغترار بالظواهر؟!.

وهؤلاء يقولون: إن هذه النصوص على ظواهرها وحقيقتها، وما ظاهر القدم فى قوله ﷺ: (لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه...) الحديث. إلا الجارحة، ولا الاستواء إلا الجلوس، ولا النزول إلا الحركة المخصوصة. ولو قالوا: إننا نقرأ الآيات والأحاديث ثم نسكت، لما أنكر أحد عليهم، ولكنهم يقولون إننا نحملها على ظاهرها، ولا ظاهر لها عندنا إلا

ما نعرفه من مخاطباتنا ومألوفاتنا، وإذا ضايقناهم قالوا: إنها على حقيقتها، وهى غير معروفة لنا ولا تشبه شيئًا من صفاتنا.

فواعجبًا كيف تكون محمولة على ظاهرها وغير معروفة لنا: أليس ذلك تخبطًا شنيعًا؟.

ثم نقول لهم بعد ذلك: هل تثبتون لله يدًا واحدة بمقتضى قوله: ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)، أم يدين بمقتضى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: ٧٥)، أم أيديًا كثيرة بمقتضى قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ (يس: ٧١). وهل يثبتون له عينًا واحدة بمقتضى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، أم أعينًا كثيرة بمقتضى قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤) إلى غير ذلك.

ثم نقول: إذا أثبتوا كونه على العرش بمقتضى قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فلماذا لا يقولون إنه فى الأرض بمقتضى قوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٣)، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤)، وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ (البقرة: ١١٥) إلخ؟.

ضاق الكلام بنا من عظم ما اتسعا

ولا نزال نكرر أن من أخذ بهذه الظواهر لم يدع من

التشبيه شيئًا.

هذا وقد ورد فى السنة أنه تعالى خمر طينة آدم بيده، فماذا يقولون فى هذا؟ وهل يقدمونه على قولـــه: ﴿إِنَّمَـا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، أم يصرون على بقاء النص على ظاهره؟ ولعمر الله لو تكلم بمثل هذه عامى جلف لاستفظعناه منه؟ فكيف بـــه ممـــن يدعى العلم والمعرفة؟ ولكن الإنـــسان مجمـــع العجائـــب والغرائب، وقد نقل ابن الجوزى عن ابن حامد الحنبلى أنه قال: الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود.

قال: وقد ذهبت طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعـــالى على عرشه ما ملأه، وأنه يقعد نبيه معه على العرش، فوا عجبًا من قلة العقول، ويا أسفًا مـــن الخطـــأ فـــى فهـــم المنقول!، وأما قولهم: إنه استواء لا كما نعرف، بعـــد أن قالوا إنه على ظاهره، وإنه باق على حقيقته فهو بمنزلـــة من يقول: قام فلان وما هو بقائم وقعد وما هـــو بقاعـــد. أ.هـ.

كلمة للشيخ الغزالى وأخرى للشيخ محمد عبده:

ولنختم هذا المقال بعبارتين جليلتين أولاهمـــا لحجـــة الإسلام الغزالى والثانية للأستاذ الشيخ محمد عبده:

أولا: قال حجة الإسلام الغزالى فى قولـــه ﷺ: (إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الـــدنيا): نقـــول للمتـــشبث

بظواهر الألفاظ: إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه فما أسمعنا نداءه، فأى فائدة فى نزوله؟ ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا، فلابد أن يكون ظاهر النزول غير مراد، وأن المراد به شىء آخر غير ظاهره، وهل هذا إلا مثل من يريد وهو بالمشرق إسماع شخص فى المغرب، فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه، فيكون نقله الأقدام عملاً باطلاً، وسعيه نحو المغرب عبثًا صرفًا لا فائدة فيه، وكيف يستقر مثل هذا فى قلب عاقل؟.

ثانيًا: وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى حاشيته على (العقائد العضدية): فإن قلت: عن كلام الله وكلام النبى ﷺ مؤلف من الألفاظ العربية، ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بمدلول اللفظ كائنًا ما كان، قلت حينئذ: لا يكون ناجيًا إلا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأسًا، مع أنه لا يخفى ما فى آراء هذه الطائفة من الضلال والإضلال، مع سلوكهم طريقًا ليس فيه اليقين بوجه، فإن للتخبطات مناسبات ترد بمطابقتها، فلا سبيل إلا الاستدلال العقلى وتأويل ما يفيد بظاهره نقصًا إلى ما يفيد الكمال، وإذا صح التأويل للبرهان فى شىء صح فى

بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهـــان ولا لفــظ ولفظ. وقال فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَـــا إِلَــيْكُمْ آيَـــاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ (النور: ٣٤) إن الــوحى مـــن الله للنبـــى ﷺ يسمى تنزيلاً وإنزالاً ونزولاً لبيان علو مرتبة الربوبية، لا أن هناك نزولاً حسيًّا من مكان مرتفع إلى مكان منخض، ومن الغريب أنهم يقولون فى الرد على هذا: إن علـــو الله على خلقه حقيقة أثبتها لنفسه فى كتابه لا حاجـــة لتأويلـــه بعلو مرتبة الربوبية. وليت شعرى إذا لـــم يؤولـــه بعلـــو مرتبة الألوهية فماذا نريد منه؟، وهل بقى بعد ذلك شـــىء غير العلو الحسى الذى يستلزم الجهة والتحيز ولا يمكـــن نفى ذلك اللازم عنه متى أردنا به العلو الحسى، فإن نفى التحيز عن العلو الحسى غير معقول، ولا معنى للاستلزام إلا هذا، أما هم فينفون اللـــوازم، ولا أدرى كيـــف تنفـــى اللوازم مع فرضها لوازم؟ هذا خلف. ولكن القوم ليـــسوا أهل منطق، والمتتبع كلامهم يجد فيه العبارات الـــصريحة فى إثبات الجهة لله تعالى، وقد كفَّر العراقى وغيره مثبت الجهة لله تعالى، وهو واضح، لأن معتقد الجهة لا يمكنـــه إلا أن يعتقد التحيز والجسمية، ولا يتأتى غير هذا.

فإن سمعت منهم سوى ذلك فهو قول متناقض وكـــلام لا معنى له.

أبيات تناسب المقام:

ولا بأس أن نفكهك ببعض الأبيــات اقتبــسناها مــن قصيدة طويلة لابن الجوزى رحمه الله فى حــق هــؤلاء قال:

لعمرى لقد أدركت منهم مشايخاً

وأكثــر من أدركته ما له عقل

إذا نــاظروا قاموا مقــام مقاتل

فوا عــجبًا والقوم كلهــم عُزْل

موادهم لا يلحــق الخــل بقلها

وإن شئت لا خل عليهم ولا بقل

ولنقهر القلم على ترك الجولان فيٍ هذا الميدان، نسأل الله أن يجعلنا ممن اتقاه فجعل له فرقانا!.

الفصل الثالث
كرامات الأولياء

كرامات الأولياء (١)

س: هل لنا أن نعتقد أن المدفونين في الأضرحة أولياء، وأن نصدق ما نسمع من الملأ عن الآيات التي أظهروها في حياتهم من مدة ٦٠٠ سنة أو أكثر أو أقل، وأرجو أن ترسموا لنا حدًّا يبين لنا الولي وغيره، وهل للأولياء شفاعة عند الله بمعنى أنهم يقومون بدور رجاء؟، وهل يقبل الله رجاءهم على أنه قال تبارك وتعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)؟.

وجاءنا مثله أيضًا.

الجواب:

الولي هو العارف بالله وصفاته، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وإن كانت من المباحات، هكذا عرفوه، ولا داعي للإطالة فيه، ويكفينا قول الله تعالى في بيان الأولياء: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٣).

أو نقول هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، أو نقول: هم الذين أشار إليهم قوله تعالى: ﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

أما الكرامات فهى جائزة لا شك فيها، وقد تواترت فى المعنى – وإن كانت التفاصيل آحادًا – كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وهى ثابتة بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة كما ستقف عليه، ولا ينكرها إلا أهل البدع، وليس إنكارهم إياها بعجيب منهم، فإنهم كما قال بعض العلماء لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات غير عالمين أن المسألة مسألة قلوب لا أبدان وصفاء أرواح لا تعب أشباح، وقوة يقين وتمكين لا شدة مجاهدات وكثرة عبادات (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) أخرجه مسلم.

وقد ثبت حديث: (إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسلامة الصدور وسخاوة الأنفس).

وقد جاء فى الحديث المتفق عليه: (إنه سيكون فى الأمة أقوام يحقر أصحاب رسول الله ﷺ صلاتهم

وصيامهم جنب صلاتهم وصيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية).

نقول: إن الكرامات منح إلهية يعطيها الله من يشاء ويمنعها من يشاء، ولا فرق بين العطايا الحسية والعطايا المعنوية ولا بين الأرزاق الجسمانية التى قال الله فيها: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف: ٣٢)، ولا بين المواهب الروحية التى قال فيها: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ١٠٥). فسبحان من قسم الحظوظ فى البابين ومنح ما شاء من شاء من الفريقين، فكما أن الناس متفاوتون فى الصحة الجسمية هم أيضًا متفاوتون فى الصحة الروحية، ولذلك تفاوتوا فى الآخرة كما تفاوتوا فى الدنيا أو أشد: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٢١).

ولنقرب لك الأمر تمام التقريب حتى يكون على طرف الثمام، فقد كثر فيه القيل والقال جمودًا على الرأى وتعصبًا للهوى فنقول: إن الفاعل هو الله لا الولى ولا النبى، ولكنه يكرم من يشاء بما شاء وهو على كل شىء قدير، فأى مانع من أن يخرق الله العادة إكرمًا لبعض عباده الصالحين حيًّا كان أو ميتًا، فيرزقه رغيفًا فى مفازة أو شربة ماء فى صحراء أو يكرم زائريه ومحبيه، مثل

ما فعل بسفينة مولى رسول الله ﷺ حين ضل الطريق فتعرض له الأسد فقال له: أنا سفينة مولى رسول الله، فبصبص له وسار بجانبه يهديه الطريق:

ومن تكن برسول الله نصرته   إن تلقه الأُسد فى آجامها تجم

إلى آخر ما ورد عن الصحابة وغيرهم وستسمع شيئًا منه، وأى قيمة لذلك بجانب ما أعطاهم الله من شرف معرفته ومحبته والقرب منه، حتى قال فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى: (من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب)، إلى أن قال: (ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به......) إلخ.

فانظر إلى قوله: من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب، وإلى قوله: كنت سمعه وبصره، فإلى أى حد تكون منزلة ذلك الولى عند الله تعالى حتى يحارب من يعاديه، كيف يكون بصره الذى استضاء بنور معرفته ﷻ، وإلى ماذا يصل سمعه الذى له ذلك الشرف الأعلى؟.

ولا غرو فمعاملة الله تعالى تأتى بالعجائب والغرائب وهو الرحيم الودود، رزقنا الله الأدب معه والتوكل عليه.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦)، وقوله فى الحديث القدسى: (من تقرب إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا). إلى آخر الحديث، وقوله

ﷻ فى الحديث القدسى أيضًا: (مرضت فلم تعدنى، فيقول العبد: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟، فيقول: مــرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتنى عنده) إلى آخــر الحديث.

وقد قال ﷺ: (رُبَّ أشعث أغبر لا يُؤبَهُ له لو أقــسم على الله لأبره) ولم يفرق بين شىء وشىء، وإنى ألفــت نظرك إلى تلك المنزلة السامية التى كادت تخرجه من ذل العبودية وجعلته يقسم على الله قسمًا يستتبع الإجابة، وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الزمــر: ٣٤).

فهل بعد ذلك التنزل الإلهى والعطف الربــانى الــذى سمعته يستبعد أن يخرق لهم العادات أو يمن علــيهم بمــا شاء من الكرامات، فلا يدع أن يكون دعاؤهم أقرب إلــى الإجابة من دعائك لأن منزلتهم عنده أعظم من منزلتك.

أما قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيــدِ﴾ (ق: ١٦)، الذى اشتبه على السائل فهو وصفه لا وصفنا، فإنه يعلم مخلوقاته كلها على السواء لا تفاوت بينها فى علمــه وإحاطته، ولكن هناك تفاوت كبير بين منازل عباده قربًــا وبعدًا بحسب انقيادهم له وإقبالهم عليه ومحبــتهم إيــاه أو انصرافهم عنه وإقبالهم على غيره.

ولست فى حاجة إلى أن أعرفك أن القــرب معنــوى

والبعد كذلك فإن الله متعال عن قرب المسافات وبعدها.

ومن ذا يستطيع أن يقول إن للفاسق من القرب وحسن المعاملة من الله ما للصالح المطيع ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١).

ولنذكر لك شيئًا مما جاء فى القرآن والسنة مما يفيد الوقوع فضلاً عن الإمكان فنقول:

١- قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وإنه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف: ١٧)، إلى أن قال: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف: ١٨)، إلى أن قال: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥).

٢- قصة مريم وحملها بعيسى عليه السلام من غير أب على ما قصَّه الله علينا فى آيات عديدة.

٣- إثمار الجذع اليابس الذى أمرها الله بهزِّه وعرَّفها أنها ستجد منه ما لم يكن لها فى حسبان.

٤- ما قصَّ الله علينا من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا قال: يا مريم أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله.

٥- ما قصَّ الله علينا من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار على يد الخضر الذى علمه الله من لدنه علمًا على ما هو مبين بالتفصيل فى سورة الكهف، وهى ثلاث كرامات، ولكن نسامحك فى أن تعدها واحدة (وليس الخضر نبيًّا على الصحيح).

٦- قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام، على ما قاله جمهور المفسرين فى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النحل: ٤٠)، فجاء بعرش بلقيس من اليمن قبل ارتداد الطرف.

وأما السنة الصحيحة فقد جاء فيها شىء كثير من هذا:

أولاً: قصة جريج العابد.

ثانيًا: قصة الغلام الذى تكلم فى المهد.

ثالثًا: قصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير.

رابعًا: قصة أبى بكر مع أضيافه.

خامسًا: كرامة خبيب بمكة.

سادسًا: كرمة عمر بن الخطاب وهو على منبر

المدينة.

فهذه ستة براهين من كتب السنة الصحيحة ومثلها من القرآن العزيز، وماذا يقول القائلون بعد الكتاب والسنة، ولنذكر لك ما أشرنا إليه:

(١، ٢) أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﵁ أن النبى ﷺ قال: (لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم ﵇، وصبى فى زمن جريج الناسك، وصبيٍ آخر، أما عيسى فقد عرفتموه، وأما جريج فكان رجلاً عابدًا ببنى إسرائيل وكانت له أم فكان يومًا يصلى إذ اشتاقت إليه أمه، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب الصلاة خير أم أمى ثم صلى، فدعته ثانيًا فقال، مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات، وكان يصلى ويدعها، فاشتد ذلك على أمه فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه المومسات، وكانت زانية هناك فقالت لهم: أنا أفتن جريجًا حتى يزنى، فأتته فلم تقدر على شىء، وكان هناك راعٍ يأوى بالليل إلى أصل صومعته فلما أعياها راودت الراعى عن نفسها فأتاها فولدت ثم قالت: هذا ولدى من جريج، فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته، فصلى ودعا ثم نخس الغلام، قال أبو هريرة: كأنى أنظر إلى النبى ﷺ حين قال بيده: يا غلام من أبوك؟ فقال: الراعى، فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا إليه وقالوا نبنى صومعتك من ذهب

وفضة، فأبى عليهم وبناها كما كانت.

وأما الصبى الآخر فإن امرأة كان معها صبى لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة فقالت: اللهم اجعل ابنى مثل هذا، فقال الصبى: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه، فقال الصبى: اللهم اجعلنى مثلها. فقالت له أمه فى ذلك، فقال: إن الشاب كان جبارًا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله، وإن هذه قيل إنها زنت ولم تزن، وقيل إنها سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله).

(٣) وأخرج الحاكم وصححه البيهقى وأبو نعيم وابن سعد وهو فى البخارى من غير تسمية الرجلين: أن أسيد ابن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهى ليلة شديدة الظلمة، خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله.

(٤) وأخرج البخارى: أن خبيبًا كان أسيرًا عند بنى الحارث بمكة، فى قصة طويلة ومنها: أن بنت الحارث كانت تقول ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب فقد رأيته يأكل

من قِطْفِ عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثــق فــى الحديد وما كان إلا رزقًا رزقه الله.

(٥) وأخرج البخارى أيضًا: إن أبا بكر كــان عنــده أضيافٌ فقدم لهم الطعام، فكلما أكلوا منه ربا مــن أســفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته: يا أخت بنى فراس ما هذا؟، قالت: وقرة عينى لهى – تعنى القصعة – أكثر منها قبــل أن يأكلوا... إلى آخر القصة.

(٦) وقد صح أن عمر بن الخطاب كــان لــه جيــشًا (بنهاوند) من بلاد العجم وكان سارية ﷺ أميرًا علــيهم، وكان للعدو كمين فى أصل الجبــل لا يعلــم بــه جــيش المسلمين، فنادى عمر وهو على المنبر يخطب الناس يوم الجمعة: يا سارية: الجبل الجبل، فسمعوا صوته بنهاونــد ونجاهم الله تعالى ببركته، وفى ذلك كرامتان: الكشف عن حالة الجيش وحال العدو، ووصول صوته من المدينة إلى نهاوند.

(٧) وأخرج الترمذى: أن بعض الــصحابة ضــرب خباءه علىٍ قبر، ولم يكن يعلم أنه قبر. فسمع من داخــل القبر رجلاً يقرأ سورة تبارك (الملك) فجاء إلــى النبــى ﷺ فأخبره بذلك فقال: (هى المانعة، هى المنجية مــن عذاب القبر) إلى غير ذلك وهو كثير.

وقبل الختام لابد أن نقول: إنه لا فرق عندنا بين الحى

والميت حيث إن الله هو الفاعل لا الحى ولا الميـت، ولا فرق فى فعله تعالى بين أن يتولاه هو إكرامًا لوليـه مـن غير أن يكون للولى دخل فيه أو علم به وبين أن يجريـه على يديه أو يقوى روحه حتى تفعل ما لا يستطيع غيرها كما يقوى بعض الأجسام فيكون له من الأثـر مـا لـيس لغيره، ولا فرق فى التحقيق بين أن يفعل لك أو يفعل بك فإنه الفاعل على كل حال.

على أن الأرواح بينها من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فلا يصح أن تقاس الروح الضعيفة علـى الـروح القوية، ولا الروح الحرة على الروح النذلة، ولكل مرتبـة من مراتب الأرواح خصائص تناسب تلك المرتبة.

وللأرواح من القوانين ما يباين قوانين الأجسام، ولذلك ترى الحاسد يؤثر فى المحسود من بُعْد، مع أن القـوانين المادية تقضى بعدم التأثير إلا إذا حـصلت مجـاورة أو مماسة.

ثم نقول: إن الأرواح إذا صفت صح أن تطَّلـع علـى الغيب لأنها من عالم الملكوت.

فأى بُعد بَعد هذا فيما ينسب للكاملين مـن أوليـاء الله المقربين الذين أرواحهم أكمل الأرواح وأقواها، ولهم من عناية الله وفيضه ما ليس لغيرهم؟!.

وقبل إلقاء القلم لابد أن نقول إن كثيـرًا مـن النـاس

كاذبون فى دعوى الولاية مفترون على الله فيها ولكن هذا لا يضر الموضوع شيئًا، فكل طائفة فيها الصادق والكاذب سنة الله ولن تجد لسنته تبديلاً.

وقد عرفناك الولى بصفاته الجميلة ونعوته الجليلة، أما التطبيق فنكله إليك ونلقى تبعته عليك.

ويكفى اليوم وربما عدنا للموضوع مرة أخرى إذا أراد الله.

كرامات الأولياء (٢)

جاءنا خطاب من حضرة الفاضل الشيخ عبد الغنى عوض بميت يزيد غربية – من العلماء وإمام وخطيبٍ – عن كثير من أهل تلك الناحية، يقول فيه: إنه يرجو بيانًا شافيًا وقدرًا كافيًا من الأدلة التى تثبت كرامات الأولياء، وما ورد فى ذلك، ملحًا داعيًا، فرأينا أن نحقق رجاءه سائلين الله أن يتقبل دعاءه.

ولنقتصر على الإشارة الوجيزة إلى ما ورد فى ذلك، علمًا بأن الكلام مع أهل العلم الذين يسهل عليهم الاطلاع والمراجعة تغنى فيه الإشارة المختصرة عن العبارة المطولة فنقول وبالله التوفيق:

كرامات الأولياء ثابتة وبالأدلة القطعية التى لا مرية فيها وبالتواتر الذى لا ينكره إلا جاهل أو معاند من الضالين المضلين، فمن ذلك فى القرآن العظيم ما أخبر الله به تعالى عن مريم رضوان الله عليها بقوله ﷻ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ (آل عمران: ٣٧)، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء كما ذكره المفسرون والآية واضحة فى أن رزقها كان يأتيها من غير الطرق المعروفة.

ومنها لبث أهل الكهف فى كهفهم ثلاث مائة سنين

وازدادوا تسعًا، ومنها إلهام أم موسى عليه السلام أن تقذفه في اليم، ومنها مجيء عرش بلقيس بدعاء آصف بن برخيا، ومنها ما أخبر الله به عن الخضر عليه السلام من الوقائع وهو ليس بنبى عند جمهور العلماء المحققين إلى غير ذلك مما لا نطيل به. ويدل له من السنة حديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل وهو حديث صحيح أخرجاه فى الصحيحين، وحديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة ثم انفرجت عنهم وهو حديث متفق على صحته، ومنها الحديث المشهور المتفق على صحته، وهو فى الصحيحين فى أبى بكر رضي الله عنه مع ضيفه وبركة الطعام حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان قبله بثلاث مرات، وكذلك ما اشتهر عن أبى بكر رضي الله عنه أنه أخبر أن حمل امرأته أنثى فكان كذلك.

وحديث الصحيحين المتفق على صحته فى عمر رضي الله عنه أنه كان من المحدَّثين - بفتح الدال المشددة - وكذلك ما صح عنه رضي الله عنه أنه قال: يا سارية الجبل فى حال خطبته فى يوم الجمعة فبلغ صوته إلى سارية، فكان لعمر رضي الله عنه كرامتان إحداهما ما كشف له عن حال سارية وأصحابه المسلمين وحال العدو، والثانية بلوغ صوته إلى بلاد بعيدة.

والحديثان المتفق على صحتهما فى سعد وسعيد رضي الله عنهما

فى إجابة دعوة كل واحد منهما.

والحديث الصحيح فى البخارى فى خبيب رضي الله عنه فى قطف العنب الذى وجد فى يده وهو أسير بمكة يأكله فى غير أوان الثمار.

والحديث الصحيح حديث البخارى أيضًا فى أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما اللذين خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباح فى عصا أحدهما فلما افترق بهما الطريق أضاءت لكل منهما عصاه.

والحديث الصحيح حديث الرجل الذى سمع صوتًا فى السحاب يقول: اسق حديقة فلان، وما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث العلاء بن الحضرمى رضي الله عنه فى غزوة فحال بينهم وبين الموضع الذى يقصدونه قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء.

وكذلك ما اشتهر أن عمران بن حصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه حتى اكتوى فانحبس عنه ذلك.

وبالجملة فقد ورد عن السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ العارفين الفقراء الصادقين وسائر الأولياء، والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين من الكرامات المستفيضات، الصادرات عن العيان والمشاهدات ما طبق الآفاق وملأ جميع البلاد وعجزت الدفاتر عن اليسير منه حصرًا وتعدادًا.

ولو لم يرد فى هذا إلا قوله ﷺ: (رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره)، لكان كافيًا لكل ذى قلب سليم وفهم مستقيم.

وأما ثبوت الأبدال فيكفى فيه ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن علىٍّ ﷺ أنه ذكر أهل الشام عنده وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الأبدالِ بالشام أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب) رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة، وفى حديث أخرجه ابن أبى الدنيا عن علىٍّ وفيه أنه قال: يا رسول الله صفهم لى، قال: (ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لأمة المسلمين) أخرجه الخلال فى كرامات الأولياء.

وفى هذا القدر كفاية، وللسيوطى رسالة فى ذلك سماها (الخبر الدال على وجود القطب والأبدال) فليرجع إليها من شاء.

أسأل الله أن يحشرنا فى زمرة المصدقين بهم المحبين لهم بمنه وكرمه.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة